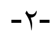
مسرحية الرائد بربارة



مسرحية الرائد بربارة

تأليف: جورج برنارد شو

ترجمة: أ. غالية هاني خليفة

(مسرحية الرائد بربارة)

تأليف: جورج برنارد شو

ترجمة: أ. غالية هاني خليفة

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧

الإخراج الفني: فادي كيوان

تصميم الغلاف: فيصل حفيان

جميع العمليات الفنية و الطباعية

مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف:٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

Email: ruslanpress@mail٢world.com

الفصل الأول

فترة ما بعد العشاء من أمسية من أمسيات كانون الثاني في المكتبة في منزل السيدة بريتومارت أندرشافت الواقع في شارع ولتون كريسنت. وسط الغرفة توجد أريكة ضخمة ومريحة منجدة

بجلد داكن اللون. من يجلس عليها (في الوقت الحاضر هي فارغة) تكون طاولة الكتابة الخاصة بالسيدة بريتومارت إلى يمينه، وتكون السيدة نفسها جالسة إليها تعمل. وخلفه إلى اليسار طاولة كتابة أصغر حجماً، ويكون الباب وراءه بجوار السيدة بريتومارت، وهنالك نافذة مع مقعد نافذة إلى يساره مباشرة. قرب النافذة يوجد كرسي ذو ذراعين.

السيدة (بريتومارت) امرأة في الخمسين أو ما يقارب من العمر. أنيقة رغم كونها لاتهتم بلباسها، كريمة الأصل رغم أنها لا تبالي على الإطلاق بأصلها، كريمة الخلق على الرغم من كونها صريحة بشكل يدعو للخوف، ولا تعير اهتماماً لرأي من يحاورونها، ودودة رغم أنها حازمة وظالمة وذات مزاج حاد لأقصى درجة يمكن احتمالها، وفوق ذلك كله زوجة مدبرة نموذجية جداً، تنتمي للطبقة الراقية. بقيت تعامَل كطفلة سيئة السلوك إلى أن تجبرت وأصبحت أماً سليطة حتى غدت في النهاية تتمتع بقدر وافر من القدرة العملية والخبرة بالعالم المقيدة بأكثر الطرق شذوذاً بالقيود العائلية والطبقية، وتتصور العالم تماماً كما لو أنه منزل ضخم في ولتون كريسنت رغم أنها كانت تدير شؤون زاويتها الخاصة منه بشكل فاعل للغاية بناءً على تصورها ذاك وهي بكامل التنور والتحرر تماماً كما هي بالنسبة للكتب في المكتبة، واللوحات على الجدران، والأسطوانات الموسيقية في أغلفتها، والمقالات في الصحف.

يدخل ابنها ستيفن وهو شاب في غاية الاستقامة، لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره بعد. شديد الاعتداد بنفسه لكن ما يزال ينتابه بعض الخوف من أمه والذي لا يعود لأي ضعف في شخصيته بل يعود لما اعتاد عليه في طفولته ولخجل الأعزب الذي بداخله.

- ستيفن: ما الأمر؟

- السيدة بريتومارت: سأخبرك حالاً يا ستيفن.

(يسير بإذعان باتجاه الأريكة، يجلس، ويتناول مكبر الصوت).

- السيدة بريتومارت: لا تبدأ بالقراءة ستيفن، أريدك أن تكون مصغياً تماماً.

- ستيفن: كنت سأفعل هذا فقط أثناء انتظار—

- السيدة بريتومارت: لا تختلق الأعذار ستيفن (ينزل المكبر) والآن! (تفرغ من كتابتها، وتنهض، وتتجه نحو الأريكة) أنا لم أدعك تنتظر طويلاً على ما أعتقد.

- ستيفن: لا، لم تفعلي ذلك على الإطلاق يا أمي.

- السيدة بريتومارت: أحضر لي مسندي. (يأخذ المسند من الكرسي عند المكتب و يعدُه لها، بينما تجلس هي على الأريكة) اجلس (يجلس و يبدأ بتلمس ربطة عنقه بعصبية) لا تتلمس ربطة عنقك يا ستيفن، فلا عيب فيها.

- ستيفن: أستميحك عذراً (يبدأ بتلمس سلسلة ساعته بدلاً من ربطة عنقه).

- السيدة بريتومارت: والآن، هل أنت متفرغ لي يا ستيفن؟

- ستيفن: طبعاً يا أمي.

- السيدة بريتومارت: لا ، لا تقل طبعاً فأنا أحتاج لاهتمام منك يفوق اهتمامك المعتاد. سأتحدث إليك بجدية بالغة ستيفن وأتمنى لو تترك تلك السلسلة.

- ستيفن: (يفلت السلسلة بسرعة) هل بدر منى أي شيء أزعجك يا أمي؟ وإذا حدث شيء كهذا فإنه لم يكن مقصوداً على الإطلاق.

- السيدة بريتومارت: (مندهشة) هذا هراء (بشيء من عذاب الضمير). يا بني المسكين، هل ظننت أني غاضبة منك؟

- ستيفن: ما الأمر إذاً يا أمي؟ إنك تجعلينني مضطرباً للغاية.

- السيدة بريتومارت: (محدقة به بشيء من العدوانية) هل لي أن أسألك متى تنوي أن تدرك بأنك رجل ناضج، وبأني مجرد امرأة يا ستيفن؟

- ستيفن: (مذهولاً) مجرد –

- السيدة بريتومارت: لا تكرر كلماتي من فضلك فهذه من أكثر العادات استفزازاً. عليك أن تتعلم كيف تواجه الحياة

بجدية يا ستيفن. أنا بحق لم أعد أستطيع تحمل عبء شؤون عائلتنا كاملاً. عليك تقديم النصح لي. عليك تحمل المسؤولية.

- ستيفن: أنا!

- السيدة بريتومارت: نعم، أنت طبعاً فقد بلغت الرابعة والعشرين من عمرك في حزيران الماضي، ودرست في (هارّو) و(كامبردج)، وزرت الهند واليابان. عليك أن تكون قد تعلمت الكثير حتى الآن، إلا إذا كنت قد أضعت وقتك بشكل مشين. حسناً، قدم النصح لي.

- ستيفن: (مرتبكاً أكثر من قبل) أنت تعلمين أني لم أتدخل بأمور العائلة من قبل.

- السيدة بريتومارت: لا، لا أظن أنك فعلت. أنا لا أريد منك أن تأمر بإعداد العشاء.....

- ستيفن: أعني في قضايا عائلتنا.

- السيدة بريتومارت: حسناً، الآن عليك أن تتدخل لأنها بدأت تخرج من يدي كلياً.

- ستيفن: (منزعجاً) كنت أفكر أحياناً أنه ربما علي هذا. ولكن بحقٍّ يَا أمي أنا لا أعرف إلا القليل عنهم، وما أعرفه

مـؤلم للغايـة ــ يتعـذر علـيَّ كـثيراً أن أذكـر لـك بعـض الأمور ـ (يتوقف خجلاً).

- السيدة بريتومارت: أظن أنك تعني بخصوص والدك.

- ستيفن: (بصوت تقريباً غير مسموع) نعم.

- السيدة بريتومارت: بإمكاننا مواصلة حياتنا كلها دون ذكر لـه يا عزيزي. لقد كان معك كل الحق بـالطبع بـأن لا تفتح الموضوع حتى أطلب منـك هـذا ، ولكنـك الآن قـد كـبرت بما يكفي لأن أضع ثقتي بك، ولتساعدني كـي أبحـث معه موضوع الفتيات.

- ستيفن: ولكن الفتيات على ما يرام. إنهن مخطوبات.

- الـسيدة بريتومـارت: (برضـى) أجـل، لقـد أمنـت زوجـاً جيـداً جـداً لـسارة فتـشارلز لومـاكس سيـصبح مليـونيراً حـين يبلـغ الخامسة والثلاثين. لكن هذا سيكون بعد عشر سنين، وفي غضون ذلك لن يتمكن الوصي عليه بناءً على شروط وصية والده من إعطائه أكثر من ثماني مائة جنيه سنوياً.

- ستيفن: ولكن الوصية تنصُّ أيضاً على أنـه إذا تمكـن مـن زيـادة دخلـه معتمـداً علـى جهـوده الشخـصية فـإنهم سـيقومون بمضاعفة الزيادة.

- السيدة بريتومارت: على الأرجح أن جهود تشارلز لوماكس ستخفض دخله بدلاً من أن تزيده. سيكون على سارة أن تدبر على الأقل ثماني مائة جنيه أخرى في السنة طوال عشر السنين القادمة، وحتى حينها سيكون فقرهم يوازي فقر فئران الكنيسة. وماذا عن بربارة؟ اعتقدت أن بربارة ستكون الأنجح بينكم في مجال العمل، ولكن ماالذي تفعله؟ تنضم إلى جيش الخلاص الروحي[1]، وتصرف خادمتها، وتعيش على جنيه في الأسبوع، وتدخل علينا في إحدى الأمسيات بصحبة أستاذ جامعي يدرس اللغة اليونانية التقطته من الشارع يدعي أنه من المخلصين ويقرع الطبل علناً ليعلن أنه غارق حتى أذنيه في حبها.

- ستيفن: لقد اندهشت بالطبع حين سمعت بأنهما مخطوبان فكزنز شخص لطيف جداً، ومن المؤكد أن لا أحد يمكن أن يخمن على الإطلاق بأنه ولد في استراليا. ولكن _

---

(١) جيش الخلاص الروحي هو جزء أساسي من الكنيسة المسيحية رغم أنه مستقل عنها في الجوانب الإدارية والتطبيقية. يتبع الجيش المعتقدات المسيحية الأساسية، وتتلخص أهدافه في تحقيق التقدم للدين المسيحي، والقضاء على الفقر، وغيرها من الأهداف الإحسانية التي تعود بالنفع على المجتمع وعلى البشرية جمعاء. تم تأسيسه على يد (وليام بوث) عام ١٨٦٥، وقد توسع من لندن إلى إنكلترا بأسرها، ثم إلى غيرها من أنحاء العالم. (المترجمة).

- السيدة بريتومارت: آه، إن أدولفوس كزنز سيكون زوجاً صالحاً جداً. وفي النهاية ليس بإمكان أحد التفوه بكلمة ضد اليونانية فهي تطبع الإنسان على الفور بطابع النبيل المثقف. وإن عائلتي، والحمد لله، ليست من العائلات المحافظة المتزمتة فنحن ننتمي لحزب الأحرار، ونؤمن بالتحرر. وليقل المغرورون ما يروق لهم فبربارة لن تتزوج بالرجل الذي يريدونه هم بل بالرجل الذي أريده أنا.

- ستيفن: بالطبع، ولكنني كنت فقط أفكر في دخله، ولكن لا يبدو عليه أنه مبذر.

- السيدة بريتومارت: لا تكن واثقاً جداً من هذا يا ستيفن. أنا أعرف هؤلاء الناس الهادئين البسطاء المهذبين والشاعريين أمثال أدولفوس ـ إنهم لا يرضون إلا بالأفضل في كل الأمور، وإنهم بهذا يكلفون أكثر مما يكلف أناسك المبذرون الذين هم دوماً دنيئون كونهم من الدرجة الثانية. كلا، إن بربارة ستحتاج على الأقل لألفي جنيه في السنة، وهذا يعني، وكما ترى، أسرتان إضافيتان. إضافة لذلك يا عزيزي، عليك بأن تتزوج قريباً فأنا لا أستحسن لا أسلوب المغازلة الذي يتبعه العازبون في أيامنا هذه ولا الزواج المتأخر، وأنا أعمل على ترتيب شيء لك.

- ستيفن: هذا لطف كبير منك يا أمي، ولكن ربما من الأفضل بالنسبة لي بأن أرتب لهذا الأمر بنفسي.

- السيدة بريتومارت: هذا هراء! ما تزال صغيراً جداً على تخطيط أمر الزواج. قد تفتن بفتاة جميلة، وتكون هذه نكرة قليلة القدر. أنا لا أعني طبعاً أنه لا تتوجب استشارتك، وأنت تعلم هذا جيداً كما أعلمه أنا (يطبق ستيفن شفتيه ويصمت). والآن لا تعبس يا ستيفن.

- ستيفن: أنا لاأعبس يا أمي، ولكن ما علاقة كل هذا بـ.. بـ.. بوالدي؟

- السيدة بريتومارت: ومن أين سنأتي بالنقود يا عزيزي ستيفن؟ من اليسير بالنسبة لك ولبقية الأولاد بأن تعيشوا بالاعتماد على دخلي طالما أننا نعيش في المنزل ذاته، لكني لا أستطيع إعالة أربعة أسر تعيش في أربعة منازل منفصلة. أنت تعلم كم أن والدي فقير، فدخله هذه الأيام بالكاد يصل إلى سبعة آلاف جنيه في السنة، وبحق لو لم يكن إيرل منطقة (ستيفنينغ) لكان عليه أن يعزل نفسه عن المجتمع. ليس بمقدوره فعل شيء من أجلنا. إنه يقول، وهذا طبيعي جداً، إنه من غير المنطقي أن يطالب بالإنفاق على أولاد شخص مغمور بالأموال فكما تعلم يا ستيفن لا بد وأن والدك ثري ثراءً خرافياً لأن هنالك دوماً حروباً تدور رحاها في بقعة ما.

- ستيفن: لست بحاجة لتذكيري بهذا يا أمي. نادراً ما فتحت صحيفة في حياتي كلها دون أجد اسمنا فيها: لغم من صنع "أندرشافت"، رشاشات من صنع "أندرشافت"، مسدس العشر إنشات من صنع "أندرشافت"، السلاح الناري الواقي المفقود من صنع "أندرشافت"، غواصة من صنع "أندرشافت" واليوم سفينة حربية جوية من صنع "أندرشافت". في مدرسة (هارو) كانوا يطلقون علي اسم ابن (وولويك)، وفي (كامبردج) كان الوضع مماثلاً. مرة قام أحد الحمقى الصغار في (كينغز) ممن كانوا يحاولون دوماً تنظيم الاجتماعات الدينية بإفساد إنجيلي ـ والذي هو أول هدية قدمتها لي في عيد ميلادي ـ حين كتب تحت اسمي "ابنووريث أندرشافت ولازاروس" تجار الموت والدمار: العنوان "كريستتدوم وجوديا"؛ لكن هذا كله لم يكن أسوأ من الطريقة التي كان يتم التملق لي من خلالها في كل مكان لأن أبي كان يربح الملايين من بيع المدافع.

- السيدة بريتومارت: ليس من بيع المدافع فحسب، بل وأيضاً من القروض الحربية التي كان لازاروس ينظمها تحت ستار إعطاء صيت للمدافع. أنت تعلم يا ستيفن بأن هذا الأمر

مخزٍ تماماً، فهذان الرجلان "آندرو آندرشافت ولازاروس "يسيطران بكل تأكيد على أوروبا، وهذا ما يجعل والدك قادراً على التصرف بالطريقة التي يتصرف بها؛ إنه فوق سلطة القانون. أتظن أنه كان بإمكان" بسمارك" أو "كلادستون" أو "دزرائيلي" تحدي كافة الالتزامات الاجتماعية والأخلاقية علناً طوال مدة حياتهم كما فعل والدك؟ ببساطة، ما كان لهم أن يجرؤوا على فعل ذلك. لقد طلبت من "كلادستون" بأن يتصدى لهذا الأمر، وطلبت بأن تتصدى صحيفة "التايمز" له، وطلبت من اللورد "تشامبرلين" بأن يتصدى له، لكن الأمر كان كما لو أنني أطلب منهم بأن يعلنوا الحرب على السلطان. ما كانوا ليفعلوا هذا. قالوا "إنه ليس بإمكانهم المساس به. أظن أنهم كانوا خائفين.

- ستيفن: وما الذي كان بإمكانهم فعله؟ إنه فعلياً لا يخرق القانون.

- السيدة بريتومارت: لا يخرق القانون! إنه يخرق القانون بشكل دائم. لقد خرق القانون حينما ولد فوالداه لم يكونا متزوجين.

- ستيفن: ماذا يا أمي! هل هذا صحيح؟

- السيدة بريتومارت: صحيح طبعاً. كان هذا هو السبب في انفصالنا.

- ستيفن: وتزوجك دون أن يعلمك بهذا!

- السيدة بريتومارت: (مندهشة بعض الشيء من هذا التدخل) أوه، لا. لكي أكون منصفة بحق آندرو فهو لم يفعل شيئاً كهذا. إضافة لذلك، أنت تعلم شعار عائلة "أندرشافت": (لا حياء). لقد كان الجميع على علم بالأمر.

- ستيفن: لكنك قلت بأن هذا كان السبب في انفصالكما.

- السيدة بريتومارت: أجل، لأنه هو نفسه لم يكن راضياً عن كونه لقيطاً. لقد أراد أن يحرمك من الميراث لكي يورث لقيطاً آخر وهذا ما لم أستطع تحمله.

- ستيفن: (خجلاً) هل تعنين لـ... لـ... لـ...

- السيدة بريتومارت: لا تتلعثم يا ستيفن. تكلم بوضوح.

- ستيفن: لكنه لأمر رهيب جداً بالنسبة لي يا أمي أن يتوجب علي الحديث معك حول أمور كهذه.

- السيدة بريتومارت: هذا ليس بالأمر الذي يعجبني أنا أيضاً. خاصة إذا كنت ما تزال إلى حد كبير كالأطفال، وكان لا بد لك أن تجعل الأمر أسوأ بإظهار ارتباكك.

الأشخاص الذين ينتمون إلى الطبقات المتوسطة هم فقط الذين يصابون بحالة من الرعب المصحوب بالصمت والعجز عن فعل أي شيء حين يكتشفون أن هنالك أناساً أشراراً

في العالم. أما ضمن طبقتنا، فعلينا أن نقرر ما الذي يتوجب فعله مع الناس الأشرار، ولا شيء يجب أن يزعزع رباطة جأشنا. والآن، اسأل سؤالك بشكل صحيح.

- ستيفن: إنك لا تعطين اعتباراً لي يا أمي. بحق السماء إما أن تعامليني كطفل كما تفعلين دوماً ولا تخبريني بشيء على الإطلاق أو أخبريني بكل شيء ودعيني أفهم الأمور بقدر ما أستطيع.

- السيدة بريتومارت: أعاملك كطفل! ماذا تعني؟ إنها لقمَة القسوة والعقوق منك بأن تتفوه بشيء كهذا. أنت تعلم أني لم أعامل أحداً منكم كالأطفال مطلقاً. لقد جعلت منكم دوماً رفقائي وأصدقائي، ومنحتكم حرية مطلقة لتفعلوا وتقولوا ما يحلو لكم طالما أنه ضمن حدود ما أقبله.

- ستيفن: (بيأس) أظن أننا كنا الأولاد الناقصين جداً لأم في غاية الكمال، لكني أتوسل إليك بأن تتركيني وشأني لمرة واحدة، وأن تخبريني عن عمل والدي الفظيع الذي يتمثل برغبته في أن ينحيني جانباً لصالح ابن آخر.

- السيدة بريتومارت: (مندهشة) ابن آخر! لم أقل شيئاً من هذا القبيل مطلقاً، وما كان ليأتيني هذا حتى في الحلم. هذه نتيجة مقاطعتك إياي.

- ستيفين: لكنك قلت —

- السيدة بريتومارت: (مقاطعة إياه) والآن، كن ولداً طيباً يا ستيفن، واستمع إليَّ بصبر. إن أفراد عائلة "أندرشافت" انحدروا من لقيط كان يقيم في أبرشية القديس "جيمس الأول". وقد تم تبني هذا اللقيط من قبل صانع دروع و أسلحة نارية. و مع مرور الزمن، خلفه اللقيط في العمل. ومن منطلق الاعتراف بالجميل، أو بناءً على قسم أو شيء ما قام هذا بتبني لقيط آخر وترك العمل له، وقام هذا اللقيط بالشيء نفسه، ومنذ ذلك الحين وتجارة المدافع تترك للقيطٍ يتم تبنيه وتسميته "آندروأندرشافت".

- ستيفن: ولكن ألم يتزوج هؤلاء أبداً؟ ألم يكن هناك أبناء شرعيون!

- السيدة بريتومارت: أوه، بلى، لقد تزوجوا تماماً كما فعل والدك، وكانوا أثرياء بما يكفي لشراء الأرض لأولادهم، ولتركهم وقد تم تمويلهم بشكل جيد، ولكنهم كانوا دائماً يتبنون ويدربون لقيطاً ما كي يخلفهم في العمل.

وكانوا دائماً طبعاً يتشاجرون مع زوجاتهم بجنون لهذا السبب. لقد تم تبني والدك بهذه الطريقة، وهو يدعي بأنه يعتبر نفسه

ملزماً بأن يحافظ على هذا العرف، وبأن يتبنى شخصاً ما ليترك العمل له، وبالطبع، ما كنت لأحتمل هذا. ربما كان هنالك بعض المنطق في هذا الأمر لو كان أفراد عائلة " أندرشافت " قد تزوجوا من نسوة ينتمين لطبقتهم الاجتماعية ذاتها حيث يكون أبناؤهم غير مؤهلين لإدارة التركات الضخمة؛ ولكن ليس هنالك من مبرر للاستخفاف بولدي أنا.

- ستيفن: (بارتياب) أخشى أني ربما لن أحسن إدارة معمل لصب المدافع.

- السيدة بريتومارت: هذا هراء! يمكنك بسهولة تعيين مدير ودفع مرتبٍ له.

- ستيفن: من الواضح أن والدي غير واثق بأهليتي.

- السيدة بريتومارت: اصمت يا ولد! لقد كنت مجرد طفل، ولم يكن للأمر أي علاقة بالأهلية. لقد فعل آندرو هذا عن قناعة كما كان يفعل كل شيء فاسد وشرير عن قناعة، وحين احتجَّ والدي قال له آندرو في وجهه بأن التاريخ يذكر لنا اسم مؤسستين اثنتين ناجحتين فقط؛ إحداهما هي شركة "أندرشافت" والأخرى هي الامبراطورية الرومانية عندما كانت تحت حكم الأنطونيين. ذلك لأن الأباطرة الأنطونيين كانوا جميعاً

يتبنـون ورثـتهم، وغـير ذلـك مـن الهـراء! آمـل أن يكـون الـستيفانيون علـى نفـس القـدر مـن النجـاح كمـا الأنطونيـون، وأنـت مـن الـستيفانيين. هـكـذا كـان آنـدرو دائماً. هـكـذا كان؛ رجل ذكي وحاسم على الدوام حين كـان يدافع عن الهراء والشر، ودائم الجبن والتجهم حين يكون عليه أن يتصرف بشكل عقلاني ومحترم.

- ستيفن: لقد دمرت حياتك العائلية بسببي إذاً يا أمي. أنا آسف.

- الـسيدة بريتومـارت: حـسناً يـا عزيـزي، لقـد كـانـت هنالـك نقـاط خـلاف أخـرى. إنـي بالفعـل لا أسـتطيع احتمـال رجـل لا أخلاقي. أنا لست ممـن يدّعون التقوى كمـا آمل، كمـا أنـني مـا كنـت لأكـترث بمجـرد ارتكـابه للأخطـاء فـلا أحد منا معصوم، ولكن والدك لم يكن تماماً يرتكب الأخطـاء. لقـد كـان يتفـوه بهـا، ويفكـر بهـا، وهـذا مـا كـان مرعبـاً جـداً في الأمـر. كـان لديـه نـوع مـن "شـريعة الإثـم" وتمامـاً كمـا أن الإنـسان لا يكـترث بمـن يقومـون بالأفعال اللاأخلاقية طالما أنهم يقرون بـأنهم يخطئـون مـن خـلال وعظهـم بـالأخلاق، كـذلك لم يكـن بمقـدوري أن أسـامح آنـدرو علـى وعظـه باللاأخلاقيـة في الوقـت الـذي كـان فيـه يتـصرف بأخلاقيـة. لـو كـان يعيش في المنـزل

لكنتم جميعاً نشأتم دون مبادئ ودون أية دراية بما هو صحيح وما هو خاطئ. أتعلم يا عزيزي، لقد كان والدك جذاباً جداً بشكل ما. لم يكن الأولاد يكرهونه، وقد كان يستغل هذا ليدخل أفظع الأفكار في رؤوسهم، وليجعلهم صعبي المراس لأقصى الدرجات. أنا نفسي لم أكن أكرهه. لقد كنت أبعد ما يكون عن هذا، ولكن، لا شيء يمكن أن يصلح الخلاف المتعلق بالأخلاق.

- ستيفن: ببساطة، هذا كله يحيرني يا أمي. يمكن أن يختلف الناس في آرائهم، أو حتى حول أمور الدين، ولكن كيف يمكن لهم بأن يختلفوا حول الصواب والخطأ؟ الصواب هو الصواب، والخطأ هو الخطأ، وإذا لم يكن بمقدور الإنسان أن يميز بينهما بشكل صحيح فهو إما أحمق أو نذل. هذا كل شيء.

- السيدة بريتومارت: (بتأثر) هذا هو ابني أنا. (تربت على وجنته) لم يكن بمقدور والدك الإجابة عن هذا. اعتاد أن يضحك ويتهرب تحت ستار بعض الهراء العاطفي. والآن، وبما أنك تتفهم الوضع، ما الذي تنصحني بفعله؟

- ستيفن: حسناً، وما الذي باستطاعتك فعله؟

- السيدة بريتومارت: يجب أن أحصل على المال بطريقة ما.

- ستيفن: لا نستطيع أخذ المال منه. أفضل أن أمضي وأعيش في مكان حقير مثل ساحة (بيدفورد) أو حتى (هامبستيد) على أن آخذ بنساً من ماله.

- السيدة بريتومارت: ولكن في النهاية يا ستيفن فإن دخلنا الحالي يأتينا من آندرو.

- ستيفن: (مصدوماً) لم أكن أعرف هذا مطلقاً.

- السيدة بريتومارت: حسناً، إنك حتماً لم تكن تفترض أن مع جدك أي شيء يقدمه لي. لم يكن بوسع " الستيفانيين " فعل كل شيء من أجلك. لقد منحناك مركزاً اجتماعياً، وكان على آندرو أن يشارك بشيءٍ ما. كانت لديه صفقة رابحة جداً على ما أظن.

- ستيفن: (بمرارة) نحن معتمدون عليه وعلى مدافعه بشكل كامل إذاً؟

- السيدة بريتومارت: بالطبع لا. لقد تم دفع النقود، ولكنه سددها، لهذا، وكما ترى فالقضية ليست قضية أخذ المال منه أو لا. إن القضية ببساطة تتعلق بالقدر الذي سيُؤخذ. أنا لم أعد أحتاج شيئاً لنفسي.

- ستيفن: ولا أنا.

- السيدة بريتومارت: لكن سارة تحتاج، وبربارة تحتاج. أعني أن تشارلز لوماكس وأدولفوس كزنز سيكلفانهما المزيد، لذا سيتوجب عليَّ أن أضع كبريائي في جيبي وأطالب به على ما أعتقد. تلك هي نصيحتك يا ستيفن، أليس كذلك؟

- ستيفن: لا.

- السيدة بريتومارت: (بحدَّة) ماذا يا ستيفن!

- ستيفن: طبعاً، إذا كنت مصرة—

- السيدة بريتومارت: أنا لست مصرة. إني أطلب نصيحتك وأنتظرها. لن أقبل بأن تلقى المسؤولية كاملةً على كتفي.

- ستيفن: (بعناد) أفضل أن أموت قبل أن أطلب منه بنساً إضافياً.

- السيدة بريتومارت: (بإذعان) تعني أنه يتوجب علي أنا أن أطلب منه. حسنٌ جداً يا ستيفن. سيجري الأمر كما تحب. سيسعدك أن تعرف أن جدك يتعاون، لكنه يعتقد أن علي أن أطلب من آندرو القدوم إلى هنا لرؤية الفتاتين. لا بد أن يكون بداخله شيءٌ من الحب الفطري نحوهما برغم كل شيء.

- ستيفن: تطلبين منه القدوم إلى هنا!

- السيدة بريتومارت: لا تكرر كلماتي يا ستيفن. إلى أين يمكنني أن أطلب منه القدوم إذاً؟

- ستيفن: لم أتوقع منك أن تطلبي منه القدوم على الإطلاق.

- السيدة بريتومارت: والآن لا تنزعج يا ستيفن هيا! إنك ترى أنه من الضروري أن يزورنا، أليس كذلك؟

- ستيفن: (على مضض) أفترض هذا إذا لم يكن باستطاعة الفتيات الاستغناء عن ماله.

- السيدة بريتومارت: شكراً لك يا ستيفن. كنت أعلم أنك ستقدم لي النصيحة الصائبة حين يتم شرح الأمر لك كما يجب. لقد طلبت من والدك أن يحضر هذا المساء (يقفز ستيفن من مقعده) لا تقفز يا ستيفن فهذا يثير أعصابي.

- ستيفن: (برعب تام) هل تعنين أن والدي قادم إلى هنا الليلة ـ أنه سيكون هنا في أية لحظة.

- السيدة بريتومارت: (تنظر إلى ساعتها) لقد قلت عند الساعة التاسعة (ينقطع نفسه وتنهض هي) اقرع الجرس من فضلك (يتجه ستيفن نحو طاولة الكتابة الأصغر، ويضغط زراً على سطحها، ويجلس إليها واضعاً مرفقيه عليها ورأسه بين يديه وهو يشعر بأنه مخدوع ومغلوبٌ على أمره) ما زالت الساعة التاسعة إلا عشرة دقائق،

وعلـي أن أجهّـز الفتيـات. لقـد دعـوت تـشارلز لومـاكس وأدولفـوس كزنـز إلى العشاء عمداً لكـي يكونـا هنـا ، فمن الأفضل لآنـدرو أن يراهمـا في حـال أنـه كـان يضمر أية أوهام تتعلق بقدرتهما على إعالة زوجتيهما.

(يـدخل الوكيـل. تتجـه الـسيدة بريتومـارت إلى خلـف الأريكـة كـي تكلمه) اذهب إلى غرفة الاستقبال يا موريسون وأعلم الجميع هناك بـأن ينزلوا إلى هنا في الحال. (ينسحب موريسون وتعود السيدة بريتومـارت إلى ستيفن) والآن تذكر يا ستيفن أني سأكون بحاجة إلى كامل تشجيعك وسلطتك (ينهض ويحاول أن يستعيد ولو قدراً ضئيلاً من هـذه الخصال) أعطني كرسياً يا عزيزي (يجر كرسياً للأمام من عند الجدار حتى مكان وقوفها قرب طاولـة الكتابة الأصغر حجماً. تجلس، ويتجه هـو نحـو الكرسـي ذي الـذراعين، ويلقـي بنفسه عليـه) لا أعـرف كيـف ستتعامل بربـارة مـع الأمـر. منـذ أن عينوهـا رائـداً في جـيش الخـلاص الروحي وهي تميل لأن تتعامل بأسلوبها الخاص ولأن تأمر الناس بطريقة تروعني في بعض الأحيان. هذا لا يليق بسيدة. إنـي بالتأكيد لا أدري من أين أتت بهذا الأسلوب. على كل حال، إن بربـارة لـن تتـأمر علـي، وجيد أيضاً أن والدك سيكون هنا قبل أن يكـون لـديها الوقت لكـي تـرفض مقابلتـه أو لأن تحـدث بلبلـة. لا تبـد علـى نفسك الانفعـال يـا سـتيفن فهـذا سيـشجع بربـارة علـى اخـتلاق المتاعـب. أنـا ـ والله يعلـم ـ منفعلـة جـداً ، لكـني لا أظهـر هـذا. (تـدخل سـارة وبربـارة مـع صـاحبيهما بالترتيـب؛ تشارلز لوماكس ثم أدولفوس كزنز. سارة هزيلة ويبدو عليها الضجر،

تهتم بأمور الدنيا لا الدين. بربارة أكثر قوة ومرحاً منها، وتفوقها بقدر كبير من النشاط. سارة ترتدي ملابس تتبع الموضة، أما بربارة فتلبس الزي الرسمي لجيش الخلاص الروحي. لوماكس، والذي هو شاب من أطراف المدينة، يبدو كالكثير من الشباب الآخرين الذين هم من أطراف المدينة. إنه مصاب بنوع عابث من روح النكتة يغرقه في أشد اللحظات لا ملاءمةً بنوبات من الضحك الذي لا ينجح تماماً في كبته. كزنز طالبٌ ذو نظارات، نحيل، خفيف الشعر، ذو صوت جميل، مصابه أكثر تعقيداً من مصاب تشارلز فروح النكتة لديه هي من النوع العقلاني الدقيق الذي يضفي التعقيد على مزاجه الجيد. إن صراع طبيعته الحساسة الخيرة وضميره الحي على مدى الحياة مع دوافع السخرية اللا إنسانية والقلق العنيف خلق بداخله توتراً مزمناً أنهك بنيانه بشكل واضح. إنه من أشد الناس عناداً وتصميماً وتماسكاً وثباتاً، وهو يقدم نفسه كنتيجة محضة لقوة شخصيته على أنه - وبشكل قاطع ومؤكد - شخص متفهم ولطيف، يميل للشرح والإيضاح، مهذب، ميال للاعتذار والتبرير، يمكن أن يقدم على القتل لكن ليس على القسوة أو الجلافة. إنه - وبفعل غريزة ما رحيمة، ولكن ليس بما يكفي لإعماء عينيه بأوهام الحب - عازم بعناد على الزواج من بربارة.

لوماكس يحب سارة ويظن بأن الزواج بها إلى حد ما مدعاة للمرح، وبالنتيجة، فإنه لم يحاول أن يعارض ترتيبات السيدة بريتومارت لهذه الغاية. يبدو الأربعة جميعاً كما لو أنهم كانوا قد نالوا قدراً جيداً من التسلية في غرفة الاستقبال. تدخل الفتاتان أولاً و قد تركتا العاشقين

خارجاً. تتجه سارة نحو الأريكة، وتدخل بربارة خلفها، وتتوقف عند الباب).

- بربارة: هل يمكن لتشولي ودولي الدخول؟

- السيدة بريتومارت: (بحزم) بربارة، أنا لا أريد أن ينادى تشارلز باسم تشولي. إن سوقية هذا الأمر تصيبني بعلةٍ فعلاً.

- بربارة: الأمر على ما يرام يا أمي. كلمة تشولي صحيحة تماماً في أيامنا هذه. هل يمكن لهما الدخول؟

- السيدة بريتومارت: أجل، إذا كانا مستعدين لأن يتصرفا بشكل حسن.

- بربارة: (عبر الباب) ادخل يا دولي وتصرف بشكل حسن.

(تتجه بربارة نحو طاولة الكتابة الخاصة بأمها. يدخل كزنز مبتسماً ويتمشى باتجاه السيدة بريتومارت).

- سارة: (مناديةً) ادخل يا تشولي (يدخل لوماكس محاولاً بفشل بالغ السيطرة على قسمات وجهه، ويجلس بطريقة غامضة بين سارة وبربارة).

- السيدة بريتومارت: (بشكل حاسم) اجلسوا جميعكم.

(يجلسون، ويعبر كزنز باتجاه النافذة، ويجلس هناك. يأخذ لوماكس كرسياً. تجلس بربارة إلى طاولة الكتابة، وتجلس سارة على الأريكة) ليست لدي أدنى فكرة عما

يجعلك تضحك يا أدولفوس. أنا متفاجئة بك رغم أني لم أكن أتوقع أي شيءٍ أفضل من تشارلز لوماكس)

- كزنز: (بصوت رقيق على نحو رائع) كانت بربارة تحاول أن تعلمني المشية العسكرية الخاصة بجيش (ويست هام) للخلاص.

- السيدة بريتومارت: لا أجد ما يضحك في الأمر، ولا يجب أن تجد أنت فيه ما يضحك إذا كانت حقاً قد تمت هدايتك.

- كزنز: (بلطف) إنك لم تكوني حاضرة. أعتقد أن الأمر كان مضحكاً فعلاً.

- لوماكس: كان رائعاً

- السيدة بريتومارت: اصمت يا تشارلز. والآن استمعوا إلي يا أولاد. والدكم قادم إلى هنا هذا المساء (يعم ذهولٌ عام).

- تشارلز: (محتجاً) ياللهول.

- السيدة بريتومارت: لا أحد يدعوك لقول أي شيء يا تشالز.

- سارة: هل أنت جادةٌ يا أمي؟

- السيدة بريتومارت: بالطبع أنا جادة. هذا من أجلك يا سارة، ومن أجل تشارلز أيضاً (يعم الصمت. يبدو تشارلز تافهاً بشكل مزعج) آمل ألا تعترضي يا بربارة.

- بربارة: أنا! ولم أفعل؟ والدي لديه روح يجب تخليصها مثله مثل أي شخص آخر. بالنسبة لي، أنا أرحب بقدومه كل الترحيب.

- لوماكس: (مايزال محتجاً) ولكن حقاً، ألا تعلمين؟ آه يا للهول.

- السيدة بريتومارت: (ببرود) ما الذي تريد قوله يا تشارلز؟

- لوماكس: حسناً، عليك أن تعترفي بأن هذا الأمر ثقيل جداً.

السيدة بريتومارت: (تستدير بدماثة تنذر بالسوء نحو كزنز) أدولفوس، إنك مدرس جامعي للغة اليونانية. هل لك أن تترجم لنا تعليق تشارلز إلى اللغة الانكليزية المحترمة.

- كزنز: (بحذر) إذا كنت تسمحين لي يا سيدة بريت، أعتقد أن تشارلز قد عبَّر بنجاح عما نشعر به جميعنا. إن (هومر) يستخدم ذات التعبير في حديثه عن (أوتوليكوس). إنه يستخدم تعبيراً معناه "ثقيلٌ قليلاً".

- لوماكس: (ببراعة) تعلمون أني لا أعارض طالما أن سارة لا تفعل.

- السيدة بريتومارت: (ببطش) شكراً لك. هل تأذن لي يا أدولفوس بأن أدعو زوجي أنا إلى منزلي الخاص؟

- كزنز: (بشهامة) أنا أمنحك تأييدي، ودون أي تردد، في أي شيء تفعلينه.

- السيدة بريتومارت: أليس لديك ما تقولينه يا سارة؟

- سارة: هل تعنين بأنه سيأتي ليقيم هنا بشكل دائم؟

- السيدة بريتومارت: بالطبع لا. إذا أحب أن يبقى ليوم أو ليومين كي يراكم لفترة أطول قليلاً فالغرفة الشاغرة جاهزة

له، لكن هنالك حدوداً.

- سارة: حسناً، لا أظن أنه يمكن أن يأكلنا. لا مانع لدي.

- لوماكس: (بضحكة خافتة) أتساءل كيف سيكون الأمر بالنسبة للسيد العجوز.

- السيدة بريتومارت: سيكون بالنسبة له كما سيكون بالنسبة للسيدة العجوز بدون شك يا تشارلز.

- لوماكس: (بحياء) لم أكن أقصد ـ على الأقل ـ

- السيدة بريتومارت: أنت لم تفكر يا تشارلز. إنك لا تفعل هذا مطلقا، والنتيجة هي أنك لا تقصد أي شيء على الإطلاق. والآن استمعوا إلي من فضلكم يا أولاد؛ سيكون والدكم شخصاً غريباً تماماً بالنسبة لنا.

- لوماكس: أظن أنه لم ير سارة منذ أن كانت طفلة صغيرة.

- السيدة بريتومارت: إنه لم يرها منذ أن كانت طفلة صغيرة. الوضع كما وصفته بأسلوبك الكيس وطريقتك المهذبة في التفكير واللذين لا يبدو أنهما يفارقانك أبداً. وبناءً على هذا.... م.....م......م.... (وقد نفذ صبرها) والآن لقد نسيت ما كنت أنوي قوله، والسبب هو دفعك إياي للسخرية يا تشارلز. أتسمح يا أدولفوس من فضلك بأن تذكرني إلى أين وصلت في حديثي.

- كزنز: (بلطف) كنت تقولين إنه بما أن السيد أندرشافت لم ير أولاده منذ أن كانوا أطفالاً صغاراً فإنه سيبني رأيه حول الطريقة التي ربيتهم بها بناءً على سلوكهم الليلة، وأنك، ولهذا السبب، ترغبين بأن نكون جميعاً حريصين كل الحرص على أن نحسن التصرف، وخاصة تشارلز.

- لوماكس: اسمع، إن السيدة بريت لم تقل هذا.

- السيدة بريتومارت: بلى يا تشارلز. ما تذكره أدولفوس صحيح كل الصحة. الشيء الأهم هو أن تكون أنت فاضلاً. كما أني أتوسل إليكم ولو لمرة واحدة بألا تتوزعوا في ركنين متقابلين وتقهقهوا وتتهامسوا أثناء حديثي مع والدكم.

- بربارة: حسناً يا أمي. نعدك بذلك.

- السيدة بريتومارت: تذكر يا تشارلز أن سارة ستكون بحاجة لأن تفخر لا لأن تخجل بك.

- لوماكس: يا للهول، ولكن ليس هنالك من شيء محدد تفتخر به. أنت تعلمين هذا.

- السيدة بريتومارت: حسناً، حاول أن يظهر عليك وكأن هنالك شيئاً كهذا.

(يقتحم موريسون، والذي أصابه الشحوب والهلع، الغرفة باضطراب ظاهر).

- موريسون: هل لي أن أقول لك كلمة يا سيدتي.

- السيدة بريتومارت: هذا هراء! قم بإحضاره.

- موريسون: حاضر يا سيدتي (يمضي).

- لوماكس: هل يعرف موريسون من يكون هذا؟

- السيدة بريتومارت: بالطبع، فموريسون كان موجوداً معنا على الدوام

- لوماكس: لا بد وأن كلمتك كانت كلمة الفصل بالنسبة له. تعلمين هذا.

- السيدة بريتومارت: هل هذا وقت إغاظتك إياي بتعابيرك الفظة يا تشارلز؟

- لوماكس: لكن هذا شيء خارج عن المألوف. حقاً إن —
موريسون: (عند الباب) الـ.... السيد أندرشافت (ينسحب باضطراب) يدخل آندرو أندر شافت. ينهض الجميع. تستقبله السيدة بريتومارت وسط الغرفة خلف الأريكة. آندرو، ظاهرياً، هو رجل كهل هادئ، يميل للسمنة، يتمتع بخلق حليم، رحيم ويحسن الاستماع، كما يمتلك مخزوناً عظيماً من الطاقة الجسدية والعقلية في صدره الواسع ورأسه الطويل الشكل. إن رقته تعود جزئياً لكونه رجلاً قوياً علمته التجربة أن قوة ضبط النفس التي يمتلكها بطبيعته تجرح الناس العاديين ما لم

يعاملهم بعناية بالغة وجزئياً لليونة التي يضيفها التقدم في العمر والنجاح. إنه في وضعه الحالي البالغ الحساسية يشعر بالقليل من الخجل.

- السيدة بريتومارت: مساء الخير يا آندرو.

- أندرشافت: كيف حالك يا عزيزتي؟

- السيدة بريتومارت: تبدو أكبر من قبل بكثير.

- أندرشافت: (بأسلوب دفاعي) أنا أكبر بعض الشيء (بلمسة مغازلة) أما بالنسبة لك فيبدو كما لو أن الزمن قد توقف.

- السيدة بريتومارت: (بحزم) هذا كلام فارغ! تلك هي عائلتك.

- أندرشافت: (بدهشة) هل هي كبيرة لهذا الحد؟ يؤسفني القول إنّ ذاكرتي تخفق بصورة سيئةٍ جداً فيما يتعلق ببعض الأمور. (يمد يده برقة أبوية إلى لوماكس).

- لوماكس: (مصافحاً إياه بتشنج) أهلللاً.

- أندر شافت: إنك ولدي الأكبر حسبما أرى. أنا سعيد جداً بلقائك مرة أخرى يا بني....

- لوماكس: (باحتجاج) ولكن اسمع، ألا تعرف ـ(مهزوماً) ياللهول.

- السيدة بريتومارت: (بعد فترة وجيزة من البكم) هل تريد أن تقول يا آندرو بأنك لا تذكر كم ولداً لديك؟

- أندر شافت: حسناً، أخشى أنني ـ لقد كبروا كثيراً.. م... م... م...
هل ارتكبت خطأ سخيفاً ما ؟ أريد أن أعترف أيضاً بأني أتذكر ابناً واحداً فقط، لكن أموراً كثيرة جرت منذ، طبعاً... م....م....

- السيدة بريتومارت: (بحزم) أنت تتفوه بكلام فارغ. بالطبع لديك ولدٌ واحدٌ فقط.

- أندر شافت: هل لك أن تكوني طيبة كفاية لتقدميني يا عزيزتي.

- السيدة بريتومارت: ذاك هو تشارلز لوماكس، خطيب سارة.

- أندر شافت: أستميحك عذراً يا سيدي العزيز.

- لوماكس: لا عليك. أنا سعيد بمعرفتك، أؤكد لك هذا.

- السيدة بريتومارت: هذا ستيفن.

- أندر شافت: (ينحني) تسرني معرفتك يا سيد ستيفن. إذاً (يتجه نحو كزنز) لا بد وأنك ولدي (يأخذ كزنز بين يديه) كيف حالك يا صديقي الصغير؟ (مخاطباً السيدة بريتومارت) إنه يشبهك كثيراً يا حبيبتي.

- كزنز: إنك تتملق لي يا سيد أندرشافت. اسمي كزنز، وأنا خطيب بربارة. (بشكل علني لحد كبير) تلك هي بربارة أندرشافت، رائد جيش الخلاص الروحي، وتلك هي سارة، ابنتك الثانية، وهذا ستيفن أندرشافت، ابنك.

- أندرشافت: يا عزيزي ستيفن، أستميحك عذراً.

- ستيفن: لا عليك.

- أندرشافت: أنا ممتن جداً لك يا سيد كزنز لأنك أوضحت الأمور بدقة بالغة. (يلتفت نحو سارة) بربارة، يا عزيزتي ـ

- سارة: (منبهة إياه) أنا سارة.

- أندرشافت: أنت سارة، بالتأكيد (يتصافحان، ويتجه نحو بربارة) أنت بربارة، أنا على حق هذه المرة كما آمل.

- بربارة: إنك محق تماماً (يتصافحان).

- السيدة بريتومارت: (مستأنفة أسلوبها الآمر) اجلسوا جميعكم، اجلس يا آندروا.

(تتقدم وتجلس على الأريكة. يقرب كزنز أيضاً كرسيه ويضعه إلى يسارها. تبقى بربارة وستيفن جالسين في مكانيهما. يعطي لوماكس كرسيه لسارة ويذهب لإحضار غيره).

- أندرشافت: شكراً يا حبيبتي.

- لوماكس: (بطريقة حوارية، وهو يدفع كرسياً للأمام ما بين طاولة الكتابة والأريكة ويناوله لأندرشافت) تحتاج لبعض الوقت حتى تكتشف أين أنت بالضبط، أليس كذلك؟

- أندر شافت (آخذاً الكرسي) ليس هذا ما يحرجني يا سيد

لوماكس. مشكلتي هي أني إذا لعبت دور الأب فسأظهر بمظهر الغريب المتطفل، وإذا لعبت دور الغريب المتحفظ فقد أبدو أباً متحجر القلب.

- السيدة بريتومارت: لا داعٍ لأن تلعب أي دور إطلاقاً يا آندرو. من الأفضل بكثير بالنسبة لك أن تكون صادقاً وعلى طبيعتك.

- أندر شافت: (بخضوع) نعم يا عزيزتي، أظن أن هذا سيكون الأفضل (مريحاً نفسه) حسناً، هاأنذا، والآن، بم أستطيع أن أخدمكم جميعاً؟

- السيدة بريتومارت: لست بحاجة لفعل أي شيءٍ يا آندرو. إنك فرد في العائلة. بإمكانك الجلوس معنا وإمتاع نفسك. (يتفجر مرح لوماكس الذي طال كتبه كثيراً بصوت يشبه صهيل فرس يتألم).

- السيدة بريتومارت: (بغضب شديد) اسمع يا تشارلز لوماكس؛ إذا كان بإمكانك التصرف بشكل لائق فلتفعل، وإذا لم يكن بإمكانك هذا فلتغادر الغرفة).

- لوماكس: أنا آسف لأقصى درجة ياسيدة بريت، لكن بالفعل أنت تعلمين أي روح لدي! (يجلس على الأريكة بين السيدة بريتومارت وأندرشافت وقد غلب على أمره تماماً).

- بربارة: لماذا لا تضحك إذا كنت ترغب بذلك يا تشولي؟ هذا يفيد داخليتك.

- السيدة بريتومارت: لقد تلقيت ثقافة سيدة يا بربارة فمن فضلك دعي والدك يرى هذا ولا تتكلمي كفتاة شوارع.

- أندرشافت: لا تكترثي بي يا عزيزي، فكما تعلمين، أنا لست نبيلاً، ولم أتلق في حياتي أية ثقافة.

- لوماكس (بتشجيع) لا يمكن لأحد أن يكتشف هذا، أنا أؤكد لك. إنك تبدو على أحسن حال، تعلم هذا.

- كزنز: دعني أنصحك بأن تدرس اليونانية يا سيد أندرشافت فتلامذة اليونانية أشخاص متميزون؛ بعضهم يعرف اليونانية ولا أحد منهم يعرف أي شيء آخر، لكن منزلتهم لا تضاهى. اللغات الأخرى يختص بها النادلون والتجار الرحّل، أما اليونانية فيختص بها الشخص ذو المكانة الرفيعة. إنها كما الدمغة بالنسبة للفضة.

- بربارة: لا تكن مرائياً يا دولي. أحضر الأوكرديون الخاص بك يا تشولي واعزف لنا شيئاً ما.

- لوماكس (مخاطباً أندرشافت بارتياب) قد لا يكون شيء كهذا ضمن مجال اهتمامك، ما قولك؟

- أندرشافت: أنا مولع بالموسيقى بشكل خاص.

- لوماكس: (بابتهاج) حقاً؟ إذاً سأحضرها (يصعد الدرج ليحضر الآلة).

- أندرشافت: هل تجيدين العزف يا بربارة؟

- بربارة: إني أجيد فقط النقر على الدف. لكن تشولي يعلمني العزف على الأوكرديون.

- أندرشافت: هل تشولي عضو في جيش الخلاص الروحي أيضاً؟

- بربارة: لا، فهو يرى أنه لأمر سيء أن تكون منشقاً. لكني لا أيأس من ناحية تشولي. لقد جعلته يحضر اجتماعاً في "بوابة البط" يوم أمس، وقمت بجمع النقود في قبعته.

- السيدة بريتومارت: هذا ليس من صنيعي يا آندرو فبربارة ناضجة بما يكفي لتكون قادرة على شق طريقها الخاص بها، كما أنه ليس لديها أبٌ ينصحها.

- بربارة: بل إن لديها أباً، فلا وجود لأيتام في جيش الخلاص الروحي.

- أندرشافت: لا بد وأن والدك هناك لديه الكثير من الأولاد وأنه على قدر كبير من الخبرة، أليس كذلك.

- بربارة: (تنظر إليه بسرعة باهتمام، وتومئ بالموافقة) تماماً. كيف استطعت أن تدرك ذلك؟ (يُسمع لوماكس عند الباب وهو يجرب الأوكرديون).

- السيدة بريتومارت: ادخل يا تشارلز، واعزف لنا شيئاً على الفور.

- لوماكس: حسناً! (يجلس في مكانه السابق ويعزف مطلعاً موسيقياً).

- أندرشافت: لحظة يا سيد لوماكس. أنا مهتم بعض الشيء بجيش الخلاص الروحي، فشعاره قد يكون شعاري الخاص: الدم والنار.

- لوماكس (مصدوماً) ولكن ليس صنفك نفسه من الدم والنار كما تعلم.

- أندرشافت: إن دمي هو من النوع المطهر، وناري هي من النوع المخلص.

- بربارة: وكذلك دمنا ونارنا. تعال غداً إلى ملجئي ـ ملجأ (ويست هام) ـ واطّلع على ما نقوم به. سنذهب إلى اجتماع كبير بمشية عسكرية في قاعة مجلس النواب في (مايل إند). تعال وألق نظرة على الملجأ، ومن ثم اذهب معنا للاجتماع. سيعود عليك هذا بفائدة كبيرة. هل بإمكانك عزف شيء ما؟

- أندرشافت: في شبابي كنت أكسب البنسات وحتى الشلنات أحياناً في الشوارع وفي ردهات الحانات بفضل موهبتي الفطرية في العزف. وفيما بعد، أصبحت عضواً في رابطة أندرشافت للأوركسترا حيث كنت أعزف على نحوٍ مقبول على آلة الترومبون الصاخبة.

- لوماكس (بخزي): يا للهول.

- بربارة: كم من آثم أدخله عزفه على الترومبون الجنة. شكراً للجيش.

- لوماكس (مخاطباً بربارة وهو ما يزال مصدوماً بعض الشيء)

نعم، ولكن ماذا عن تجارة المدافع، ألا تعلمين؟ (مخاطباً أندرشافت) إن دخول الجنة ليس من ضمن اهتمامك، أليس كذلك؟

- السيدة بريتومارت: ما هذا الذي تقوله يا تشارلز!!!

- لوماكس: حسناً، ولكن في الأمر وجهة نظر، أليس كذلك؟ قد تكون تجارة المدافع ضرورية، وغير ذلك مما يقال، كالقول مثلاً: لا يمكننا أن نتقدم من دون المدافع، لكن هذا غير صحيح كما تعلمون. بالإضافة إلى ذلك، قد يكون جيش الخلاص الروحي على قدر ما من التفاهة ـ أنا نفسي أنتمي للكنسية الرسمية، ولكن مع هذا ليس بإمكانهم إنكار كون هذا تديناً، وليس بإمكانهم معارضة الدين، أليس كذلك؟ على الأقل إن لم تكونوا غير أخلاقيين على الإطلاق، تعلمون هذا.

- أندرشافت: أنت بالكاد تقدِّر منزلتي يا سيد لوماكس ـ

- لوماكس: (بسرعة) أنا لا أقول شيئاً ضدك أنت بالذات، تعلم هذا.

- أندرشافت: تماماً، تماماً. لكن فكر للحظة. هاأنذا أنتج التشويه والقتل، وأجد نفسي أتمتع بمزاج ودي الآن وبشكل خاص لأننا هذا الصباح في المصهرة قمنا بتفجير سبعة وعشرين دمية على شكل جنود محوِّلين إياها إلى

أشـلاء بواسـطة مـسدس لم يكـن باسـتطاعته أن يـدمر أكثر من ثلاثة عشرة ـ في السابق.

- لومـاكس: (بليونـة) حسناً، كلمـا أصبحت الحـرب أشـد تـدميراً كلما اقترب أوان حظرها، أليس كذلك؟

- أندرشـافت: لـيس الأمـر كـذلك علـى الإطـلاق. كلمـا أصـبحت الحـرب أشـد تـدميراً كلمـا بـدت لنـا سـاحرةً أكثـر. لا يـا سيد لوماكس أنا ممتن لـك كونـك اختلقـت العـذر المعتـاد لتجـارتي، لكـنني لـست خجـلاً بهـا. أنـا لـست مـن هـؤلاء الأشـخاص الـذين يحـافظون علـى أخلاقهـم وتجـارتهم ـ في حجرات منيعة. كل الأموال الفائضة التي ينفقها منـا فـسيَ ـ في التجـارة علـى المشـايخ والكنـائس الرئيـسة وغيرهـا مـن الأوعية التي تحفظ فيها الأموال التي يملي الـضمير بـدفعها أخصصها أنا للتجارب والأبحاث الخاصة بالوسـائل المطـورة لتدمير الحياة والممتلكات. لقد فعلت هذا دائمـاً، وسـأفعله دائمـاً، لـذا، فـإن أخلاقيـاتكم الـتي تتمثـل علـى بطاقـات عيد الميلاد والتي تنادي بالسلام على الأرض، وبـالمودة بـين النـاس لا تنفع معي. إن دينكـم المسيحي الـذي يعلمكـم ألا تقـاوموا الـشر، وبـأن تـديروا لمـن صـفعكم علـى إحـدى وجنتـيكم الوجنــة الأخــرى يمكــن أن يــؤدي بــي إلى

الإفلاس. إن أخلاقياتي أنا وديني أنا يجب أن يتوافر فيهما مكان للمدافع وألغام الغواصات.

- ستيفن: (ببرود وبتجهم تام) أنت تتحدث كما لو كانت هنالك نصف دزينة من الأخلاقيات والأديان يختار المرء منها ما يشاء بدلاً من وجود أخلاقية صحيحة واحدة ودين صحيح واحد.

- أندرشافت: بالنسبة لي هنالك فقط أخلاقية واحدة صحيحة، لكنها قد لا تناسبك كونك لا تنتج السفن الحربية الجوية. هنالك أخلاقية واحدة صحيحة بالنسبة للجميع، ولكن لا يمتلك كل شخص الأخلاقية الصحيحة ذاتها.

- لوماكس: (منهكاً) هل لك أن تكرر ما قلته ثانية فأنا لم أكن متابعاً تماماً.

- كزنز: الأمر بسيط للغاية: كما يقول (يوريبيدوس): اللحم بالنسبة لشخص ما قد يكون سماً بالنسبة لشخص آخر سواء أخلاقياً أو جسدياً.

- أندرشافت: بالضبط.

- لوماكس: هكذا إذاً. نعم، نعم، نعم، صحيح، صحيح.

- ستيفن: بعبارة أخرى: بعض الناس شرفاء، وبعضهم أنذال.

- بربارة: اصمت. ليس هنالك من أنذال.

- أندرشافت: حقاً؟ هل هنالك أشخاص خيرون؟

- بربـارة: لا ، ولا حتـى شـخص واحـد. لـيس هنالـك لا خـيرون ولا أنـذال. هنالـك فقـط أولاد لأب واحـد. وكلمـا عجلـوا في الكف عن التنابز بالألقاب كلما كـانوا أخير. لا حاجـة لأن تخبرنـي فأنـا أعـرفهم. لقـد مـرت علـى يـدي أعـداد لا حصرلها منهم: أنذال ومجرمـون، وملحـدون، ومحـسنون، ومبـشرون، وأعـضاء في مجلـس المقاطعـة، ومـن كـل الأنواع. وكلهم آثمون من نفس الـصنف، وهنالـك شـكل واحد من الخلاص جاهز لهم جميعاً.

- أندرشافت: هل لي أن أسـألك فيمـا إذا قمـت يومـاً بتخليص صـانع للمدافع؟

- بربارة: أجل، وهل لك أن تدعني أحاول؟

- أندرشافت: نعـم، سـأعقد صـفقة معـك. إذا ذهبـت للقائـك غـداً في ملجـأ الخلاص الروحي الخـاص بـك، فهـل تـأتين في اليـوم التالي لملاقاتي في معمل المدافع؟

- بربارة: كـن حذراً، فقد ينتهي الأمر بـك بـالتخلي عـن المـدافع مـن أجل جيش الخلاص الروحي.

- أندرشافت: هـل أنت واثقة أن الأمر لن ينتهي بك أنـت بـالتخلي عـن جيش الخلاص الروحي من أجل المدافع؟

- بربارة: سأغتنم فرصتي لفعل ذلك.

- أندرشافت: وأنا سأغتنم فرصتي لأفعل الشيء الآخر (يتصافحان كدليل على الاتفاق) أين يقع ملجؤك؟

- بربارة: في (ويست هام) عند علامة الصليب. اسأل عنه أي شخص في بلدة (كانينغ) وسيدلك. وأين يقع معملك؟

- أندرشافت: في (بيريفيل سانت آندروز) عند علامة السيف. اسألي عنه أي شخص في أوروبا وسيدلك.

- لوماكس: أليس من الأفضل أن أعزف شيئاً ما!

- بربارة: نعم، أسمعنا مقطوعة "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون".

- لوماكس: حسناً، إن ذلك إيعاز قوي على المرء ليبدأ به، تعلمين هذا. افترضوا أني غنيت أغنية "أنت يا أخي الذي تمر من هنا" إن لها نفس اللحن.

- بربارة: إنها كئيبة جداً. سيتم تخليصك يا تشولي، وستمر من هنا يا أخي من دون أن تحدث كل هذه البلبلة حول الأمر.

- السيدة بريتومارت: حقاً يا بربارة؟ أنت تمضين في حديثك كما لو أن الدين كان موضوعاً مسلياً. فليكن لديك شيء من الحشمة.

- أندرشافت: أنا لا أجده موضوعاً غير مسلٍ يا عزيزتي. إنه الموضوع الوحيد الذي يهتم الناس البارعون بأمره فعلاً.

- السيدة بريتومارت: (تنظر إلى ساعتها) حسناً، إذا كنتم مصرين على الحديث عنه، فأنا مصرة على أن يتم هذا بأسلوب سوي ومحترم. اقرع الجرس لإعلان الصلاة يا تشارلز.

(يسود ذهول عام. ينهض كزنز بهلع).

- لوماكس: (وهو ينهض) يا للهول.

- أندرشافت: (وهو ينهض) أخشى أن علي المغادرة.

- السيدة بريتومارت: لا يمكنك الذهاب الآن يا آندرو. سيكون هذا غير لائق على الإطلاق. اجلس، ماذا سيقول الخدم؟

- أندرشافت: لدي وساوس يمليها عليَّ ضميري يا عزيزتي فهل لي أن أقترح تسوية؟ إذا أدت بربارة شيئاً من المراسم الدينية في غرفة الاستقبال مع السيد لوماكس كعازف على الأرغن فسأحضرها بكل سرور، حتى إني سأشارك بها إذا أمكن إحضار آلة ترومبون.

- السيدة بريتومارت: لا تسخر يا آندرو.

- أندرشافت: (مصدوماً ـ يخاطب بربارة) آمل ألا تحسبي أني أسخر يا حبيبتي.

- بربارة: لا، بالطبع لا أحسب ذلك، ولا يهم لو كنت تفعل فنصف أعضاء الجيش حضروا الاجتماع الأول بقصد المرح. (وهي تنهض) تعالوا، تعال يا دولي، تعال يا تشولي.

(تخرج بصحبة أندرشافت الذي يفتح لها الباب. ينهض كزنز).

- السيدة بريتومارت: لن أسمح بأن يتم عصياني من قبل الجميع.
أدولفوس: اجلس. تشارلز: يمكنك الذهاب. إنك غير مؤهل للصلاة، فأنت لا تستطيع الحفاظ على اتزانك.

- لوماكس: يا للهول. (يخرج).

- السيدة بريتومارت: (تتابع) لكن أنت يا أدولفوس قادر على أن تحسن التصرف إذا نويت. أنا أصر على أن تبقى.

- كزنز: يا عزيزتي السيدة بريت، هنالك أمور في كتاب الصلاة الخاص بالعائلة لا أستطيع أن أحتمل سماعك تقولينها.

- السيدة بريتومارت: أية أمور بالله عليك؟

- كزنز: حسناً، سيكون عليك أن تقولي وأمام كل الخدم، بأننا قمنا بأشياء ما كان علينا القيام بها، وتركنا أشياء كان يتوجب علينا القيام بها، وأنه لا خير فينا. أنا لا أحتمل سماعك تظليمن نفسك وتظلمين بربارة بهذا الشكل. بالنسبة لي، أنا أنكر هذا بشكل صريح فقد قمت بكل ما أمكنني القيام به، ولو كان هذا الكلام صحيحاً ما كنت لأجرؤ على الزواج من بربارة، وما كان لي أن أنظر في وجهك، لذا علي الذهاب إلى غرفة الاستقبال.

- السيدة بريتومارت: (منزعجة) حسناً، اذهب (يتقدم نحو الباب) ولتتذكر يا أدولفوس (يستدير الجميع) أن لدي شكاً قوياً جداً بأنك ذهبت إلى جيش الخلاص الروحي لتعبد بربارة دون أي شيء آخر، وإني شديدة الإعجاب بالطريقة البالغة الذكاء التي تحتال بها علي بشكل منظم. لقد كشفتك، واحذر لئلا تكشفك بربارة. هذا كل شيء.

- كزنز: (بلطف خال من الانزعاج) لا تشي بي (يخرج).

- السيدة بريتومارت: سارة، إذا كنت تريدين الذهاب فلتذهبي إذ أن أي شيء هو أفضل من جلوسك هنا وقد بدا عليك وكأنك تتمنين لو كنت على بعد ألف ميل.

- سارة: (بوهن) حسن جداً يا أمي (تذهب).

(تطلق السيدة بريتومارت بانتفاضة مفاجئة عصفة خفيفة من الدموع).

- ستيفن: (متجهاً نحوها) ما الأمر يا أمي؟

- السيدة بريتومارت: (وهي تمسح دموعها بمنديلها) لا شيء. هذه حماقة. بإمكانك أنت أيضاً أن تذهب معه إذا أحببت وتتركني مع الخدم.

- ستيفن: آه، لا يجب أن تفكري بذلك يا أمي. أنا ـ أنا لا أحبه.

- السيدة بريتومارت: لكن الآخرين يحبونه. ذلك هو الظلم الذي يلحق بالمرأة. على المرأة أن تربي أولادها، وهذا معناه أن

تضبطهم، وأن تحرمهم من الأشياء التي يريدونها، وأن تلزمهم بفروض معينة، وأن تعاقبهم حين يخطئون، وأن تقوم بكل الأشياء الكريهة. ومن ثم يأتي الأب، والذي ليس لديه ما يفعله إلا تدليلهم وإفسادهم، حين تكون قد أدت عملها كاملاً، ويسرق منها حبهم.

- ستيفن: لم يسرق منك حبنا. إن ما يجري هو بدافع الفضول فحسب.

- السيدة بريتومارت: (بعنف) لست بحاجة إلى المواساة يا ستيفن فليست عندي أية مشكلة (تنهض وتتجه نحو الباب).

- ستيفن: إلى أين أنت ذاهبة يا أماه؟

- السيدة بريتومارت: إلى غرفة الاستقبال طبعاً (تخرج. عندما يفتح الباب يسمع لحن أغنية "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون" وهو يعزف على الأكورديون مرفوقة بالتامبورين) هل أنت قادم يا ستيفن؟

- ستيفن: لا، بالطبع لا. (تذهب، ويجلس هو على الأريكة وشفتاه مطبقتان بإحكام، والاستياء الشديد بادٍ عليه).

* * * * *

الفصل الثاني

فنـاء ملجـأ تـابع لجـيش الخـلاص الروحـي في (ويـست هـام) هـو مكان بارد في أحد صباحات كانون الثاني. البنـاء نفسه، والـذي هـو عبـارة عـن مخـزن قـديم، مطلـي بـالكلس حـديثاً. تـبرز نهايتـه

الموشـورية الـشـكل داخـل الفنـاء عنـد وسـطه، ولـه بـاب في الطـابق الأرضـي، وآخـر فوقـه في الطـابق العلـوي، وليـست لـه أيـة شـرفة أو سلم، بل توجد بكـرة ملفوفة عليه تستخدم لرفع الأكياس.

إن مـن يـدخل مـن هـذه النهايـة الموشـورية إلى الفنـاء يجـد المـدخل المـؤدي إلى الـشارع إلى يـساره، وخلفـه تمامـاً يوجـد حـوض حجـري لـسقاية الخيـل، وإلى يمينـه توجـد سـقيفة تـستر طاولـة وتحميهـا مـن عوامـل الطقـس. عنـد الطاولـة هنـاك مقاعـد يجلـس عليهـا رجـل وامـرأة، وكلاهمـا مفلـسان نتيجـةً لمـا لحـق بهمـا مـن سـوء الحـظ. يفرغان من تناول وجبة هي عبارة عن الخبز (شريحة سميكـة واحـدة لكل منهما مع الزبدة النباتية ودبس السكـر) مع الحليب الممدد.

الرجل، وهـو عامـل تمـت إقالتـه مـن وظيفتـه، شـاب نـشيط ثرثـار ومتكلف، حريص كل الحرص على مصلحته لدرجـة تجعلـه قـادراً على فعل أي شيء يمكـن التفكير بـه إلا علـى أن يكـون نزيهـاً، أو أن يكـون لديـه أي اعتبـار لمـصلحة الغـير. والمـرأة هـي كتلـة قديمـة تافهة من الفقر والإنسانية الممزقة. إنها تبدو وكأنها في الـستين مـن عمرها رغم أنها قد تكون في الخامسة والأربعين.

لو وجد هنالك أشخاص أثرياء يرتدون قفازاتهم وفـروات لتدفئـة أيـديهم ومحاطين بالفراء والمعاطف لتخدروا من شدة البرد ولأصابهم البـؤس إذ أن هذا اليوم هو أحد أيام كانون الثاني الرطبة والباردة برداً ساحقاً.

ثم إن نظرة خاطفة على مؤخرة المخازن شديدة القذارة وعلى السماء الرصاصية المرئية فوق جدران الفناء المبيضة بالكلس ستجعل أي ثري خامل يرحل رأساً إلى المناطق المتوسطية؛ بيد أن هذين الشخصين، وبما أن رؤية المناطق المتوسطية لم تعد تشغل بالهما أكثر من رؤية القمر، ولكونهما مرغمين على إبقاء المزيد من ملابسهما في مكتب الاسترهان والجزء الأقل منها على جسديهما، وهذا يجري في الشتاء أكثر مما يجري في ا لصيف، فإن البرد لا يتسبب لهما بالكآبة، بل إنهما مفعمان بحيوية حولتها الوجبة التي تناولاها لتوهما الآن إلى مرح غامر. يغب الرجل غبة من إبريقه، ثم ينهض ويتجول في أرجاء الفناء ويداه غائرتان في جيبيه. يتراقص في مشيته بشكل مفاجئ بين الحين والآخر.

- المرأة: هل تشعر بتحسن بعد أن تناولت وجبتك يا سيدي؟

- الرجل: لا، وهل تُسمّين هذه وجبة. ربما تكون شهية جداً بالنسبة لك، ولكن ماذا تمثل بالنسبة لي أنا العامل الذكي؟

- المرأة: عامل! وماذا تعمل؟

- الرجل: دهان.

- المرأة: (بارتياب) نعم، ربما.

- الرجل: نعم، ربما! أعرف أن كل متسكع لا يحسن عمل أي شيء يسمي نفسه دهاناً، ولكن أنا دهان حقيقي، أبدأ

العمل وأنهيه وأكسب ثمانيةً وثلاثين جنيهاً في الأسبوع عندما أجد عملاً.

- المرأة: إذاً لم لا تذهب وتجد عملاً؟

- الرجل: سأخبرك لماذا: أولاً، أنا ذكي. ف ف ف ف ف. إن الجو بارد بشكل لعين هنا (يخطو متراقصاً خطوة أو خطوتين) أجل، إني ذكي لدرجة تتجاوز المرتبة التي سمحت الحياة للرأسماليين بأن يضعوني فيها. ثم إنهم لا يحبون الشخص الذي يتوصل لمعرفة حقيقتهم. ثانياً: إن الإنسان الذكي يحتاج إلى نصيب جيد من السعادة، لذا، فإني أبالغ في الشرب حين تسنح لي الفرصة. ثالثاً: أنا أقف إلى جانب طبقتي الاجتماعية، وأمارس أقل قدر ممكن من العمل لكي أترك نصف فرص العمل لزملائي العمال. رابعاً: أنا حر بما يكفي لكي أعرف ما هو قانوني وما هو غير قانوني، وإني أفعل ضمن حدود القانون ما يفعله الرأسماليون: أسرق كل ما تقع عليه يدي. لو كنت أعيش في مجتمع سوي لكنت حكيماً ومقتصداً وشريفاً، أما في روما، وكما يقال، أنا أفعل ما يفعله الروم، وما النتيجة؟ حين تكون حال السوق سيئة ـ وهي في غاية السوء هذه الأيام ـ وعندما يكون

على أصحاب العمل أن يصرفوا نصف عمالهم فإنهم عادةً يبدؤون بصرف أمثالي.

- المرأة: ما اسمك؟

- الرجل: برايس، برونتيري أو براين برايس. ينادونني عادة "سنوبي براس" للاختصار.

- المرأة: كلمة سنوبي تعني نجار، أليس كذلك، وقد قلت إنك كنت دهاناً.

- برايس: ليس بهذا المعنى للكلمة، بل بالمعنى العام للكلمة، مغرور، وأنا مغرور جداً، والفضل بهذا يعود لذكائي، ولكون والدي عضواً في حركة الوثيقة الشعبية، ولكونه كثير القراءة وكونه مفكراً وبائع أوراق وأقلام أيضاً. إني لست من نحاتي الخشب والرسامين بالألوان المائية العاديين الذين تتحدثين عنهم. لا تنسي هذا (يعود إلى مقعده على الطاولة ويرفع إبريقه) ما اسمك؟

- المرأة: رَمي متشنز يا سيدي.

- برايس: (مخاطباً إياها وهو يعب ما تبقى من الحليب المخصص له) بصحتك يا آنسة متشنز.

- رمي: (مصححة إياه) سيدة متشنز.

- برايس: ماذا! أوه، رمي، رمي! أمرأة متزوجة محترمة تدعى رمي يتم إنقاذها من قبل جيش الخلاص الروحي من خلال الادعاء بأنها امرأة سيئة، اللعبة القديمة ذاتها.

- رمي: وما الذي يمكنني فعله؟ لا يمكن أن أتضور جوعاً. إن فتيات جيش الخلاص الروحي فتيات طيبات غاليات، ولكن كلما كنت أفضل كلما أردن أن يفكرن بأنك كنت أسوأ قبل أن ينقذنك. لم لا تفكر حبيباتي المسكينات بأن يكون لديهن رصيد صغير؟

إنهن يفنين أنفسهن بعملهن، ومن أين يأتين بالأموال لإنقاذنا إذا جعلنا الأمر يبدو وكأننا لسنا أسوأ من باقي الناس؟ أنت تعرف ماذا تمثل السيدات والنبلاء.

- برايس: خنازير لصوص! أتمنى لو كان لي أن أعمل عملهم يا رمي، فالأمر سيان. ماذا يعني اسم رمي؟ هل هو اسم دلع؟

- رمي: إنه اختصار لـ (رومولا).

- برايس: اختصار لماذا؟

- رمي: رومولا. إنها شخصية من شخصيات كتاب حديث، وهي امرأة أرادتني أمي أن أنشأ كنشأتها.

- برايس: نحن شريكان في قلة الحظ يا رمي، فكلانا يحمل اسماً ليس بمقدور أحد لفظه، وكنتيجة لذلك، يدعوننا

سنوبي ورمي لأن أسماءً مثل بيل وسالي لم تكن مرضية بما فيه الكفاية بالنسبة لوالدينا. هذه هي الحياة!

- رمي: من قام بإنقاذك يا سيد برايس؟ هل كانت الرائد بربارة؟

- برايس: لا ، لقد أتيت بنفسي إلى هنا. سوف أصبح برونتيري أو براين برايس، الدهان المهتدي. أعرف ما الذي يحبون سماعه. سوف أخبرهم كيف كنت أكفر وأقامر وأمارس العنف على أمي العجوز—

- رمي: (مصدومة) هل كان من عادتك أن تضرب أمك؟

- برايس: على الأرجح لا. هي التي اعتادت أن تضربني. لا يهم، تعالي وأنصتي إلى الدهان المهتدي وستسمعين كيف أنها كانت امرأة تقية تعلمني صلواتي وأنا جاثم على ركبتها. وكيف أني كنت أعود للبيت سكراناً وأجرها من شعرها الأبيض الثلجي إلى خارج سريرها وأجلدها بقضيب النار المعدني.

- رمي: ذلك ما هو مجحف جداً بحقنا نحن النساء. إن اعترافاتكم هي مجردة أكاذيب كبيرة تماماً مثل اعترافاتنا. أنتم لا تفشون ما أقدمتم عليه فعلاً مثلنا. أنتم الرجال بمقدوركم الكذب على الملأ في الاجتماعات، وكسب الاحترام نتيجة لهذا ، لكن الاعتراف الذي يتوجب علينا

الإدلاء به يجب أن يهمس في أذن سيدة واحدة كل مرة. هذا لا يصح بالرغم من كل تقواهن.

- برايس: هذا صحيح ! هل تحسبين أن الجيش يمكن أن يسمح بوجوده لو كان يقوم بما هو مشروع؟ هذا مستبعد. إنهم يسرحون شعرنا ويجعلون منا فتياناً صغاراً طيبين يمكن سرقتهم والاحتيال عليهم، لكني سألعب اللعب بجدارة أي منهم. سأرى أحداً ضربته الصاعقة، أو أسمع صوتاً يقول: "سنوبي برايس: أين ستمضي آخرتك؟ " سأستمتع بوقتي، أعدك بهذا.

- رمي: لكنه لن يسمح لك بالسكر هنا.

- برايس: سأستمتع من خلال الوعظ بالتعاليم الدينية إذاً. لست بحاجة لأن أسكر إذا كان بإمكاني الحصول على ما يكفيني من المتعة بأية طريقة أخرى.

- (تدخل جيني هيل، وهي فتاة جميلة شاحبة من فتيات جيش الخلاص الروحي، أنهكها العمل، عمرها ثماني عشرة سنة، عبر بوابة الفناء، وتقود بيتر شيرلي، وهو رجل كهل نصف متصلب ونصف هالك أعياه الجوع).

- جيني: (مساندة إياه) تعال! تشجع! سأحضر لك شيئاً ما تأكله. ستكون على ما يرام حينها.

- برايس: (ينهض ويسرع بفضول ليأخذ العجوز من يدي جيني) يا لك من عجوز مسكين! ابتهج يا أخي، فسوف تجد الراحة والأمان والسعادة هنا. أسرعي بإحضار الطعام يا آنسة فهو على وشك الموت. (تدخل جيني إلى الملجأ مسرعة). تشجع يا أبتي! ستحضر لك قطعة سميكة من الخبز مع دبس السكر، وإبريقاً من الحليب الممدد. (يجلسه إلى زاوية الطاولة).

- رمي: (بمرح) دع قلبك العجوز يتماسك. لا تذكر الموت.

- شيرلي: أنا لست عجوزاً، فأنا في السادسة والأربعين من عمري فحسب. وأنا بحال جيدة كما كنت دائماً. إن لطخة الشيب حلّت بشعري قبل أن أبلغ الثلاثين، وكل ما تحتاج إليه هو ما يقدر ثمنه بثلاثة بنسات من صباغ الشعر. هل يعقل أن أرمى في الشارع وأتضور جوعاً بسببها؟ يا إلهي المعظّم! لقد عملت أربعاً وعشرين ساعة يومياً منذ أن كنت في الثالثة عشرة من عمري وكنت أصرف على نفسي خلال تلك الفترة كلها، والآن، هل يعقل أن يتم رميي في البالوعة، وأن يسلم عملي إلى شاب ليس بمقدوره إنجازه بشكل أفضل مما كنت أفعل لأن لدي شعراً أسود اللون يتحول لونه إلى الأبيض عند أول تغيير؟

- برايس: (بمرح) لا فائدة من الثرثرة حول هذا الموضوع فأنت مجرد عامل عجوز سريع التغير، مصاب بالاختلاج، تم تخريجه من المشفى إذ لا أمل يرجى بشفائه. من يهتم لأمرك؟ أخبرني من؟ دع الخنازير اللصوص يقدمون لك وجبة من الطعام فقد سرقوا منك الكثير مثلها. استعد جزءاً مما هو لك. (تعود جيني بالوجبة المعتادة) تفضل يا أخي. اطلب البركة وتناول هذا.

- شيرلي: (وهو ينظر إليها بنهم دون أن يلمسها و يبكي كالطفل) أنا لم آخذ شيئاً من قبل قط.

- جيني: (ملاطفةً إياه) أقبل، أقبل! لقد أرسل الله هذا لك. إنه لم يكن يترفع عن أخذ الخبز من أصحابه فلم تفعل أنت هذا؟ إضافة إلى ذلك، بإمكانك أن ترد لنا النقود حين تجد عملاً إذا أحببت.

- شيرلي: (بحماس) نعم، نعم. هذا صحيح. بإمكاني أن أرد النقود لكم. إنها دين (مرتعشاً) أوه، يا إلهي. أوه، يا إلهي (يعود إلى الطاولة وينقض بنهم على الوجبة).

- جيني: حسناً يا رمي. هل أنت أكثر ارتياحاً الآن؟

- رمي: بارك الله بك يا حبيبتي فقد غذيت جسدي وأنقذت روحي، أليس كذلك؟ (تقبلها جيني متأثرة) اجلسي وارتاحي

قليلاً. لا بد وأنك على وشك الانهيار.

- جيني: أنا أعمل بجد منذ الصباح، لكن هنالك عملاً يفوق طاقتنا. لا يجدر بي أن أتوقف.

- رمي: حاولي أن تصلّي لدقيقتين فقط وستعملين بشكل أفضل بعدها

- جيني: (تشرق عيناها) آه، أليس شيئاً رائعاً كيف أن الصلاة لبضع لحظات تعيد إليك النشاط. لقد كنت مصابة بدوار شديد عند الساعة الثانية عشرة. كنت متعبة جداً، لكن الرائد بربارة أرسلتني لخمس دقائق كي أصلي فتمكنت بعدها من المتابعة كما لو أني قد بدأت لتوي (مخاطبة برايس) هل تناولت قطعة من الخبز؟

- برايس: (بحماسة زائفة) نعم يا آنسة، لكنني تلقيت القيمة التي أقدرها أكثر والتي هي السلام الذي يذهب كل لسعات الجوع.

- جيني: (بحماس) الحمد لله العظيم!

(يظهر بيل ووكر، وهو شخص جلف في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً، عند بوابة الفناء، وينظر إلى جيني بحقد).

- جيني: هذا يسعدني كثيراً. كلامك هذا يجعلني أشعر بأني شريرة لكوني أتسكع هنا. عليَّ أن أعود ثانية للعمل.

(فيما تسرع إلى الملجأ، يتحرك الزائر الجديد بعجلة نحو الباب ويعترض سبيلها، ولأن سلوكه تهديدي لحد كبير، تتراجع بينما يهاجمها

بشراسة مخرجاً إياها إلى الفناء).

- بيل: أنا أعرفكِ. أنت التي قمت بإبعاد فتاتي عني. أنت التي قمت بقلبها ضدي. حسناً، سأعمل على انتزاعها، ليس لأن لدي أدنى اكتراث لأمرها أو لأمرك، أتفهمين؟ لكن لأريَها وأريك ماذا بإمكاني أن أفعل. سألقنها درساً يعلمها كيف تهرب مني. والآن فلتدخلي وتعلميها بأن تخرج قبل أن أدخل وأرميها خارجاً. أخبريها أن بيل ووكر يريدها، وستعرف ما يعنيه هذا. إذا جعلتني أنتظر، سيكون الأمر أسوأ، وإذا توقفت وقمت بتعنيفي فسأنقض عليك، أتسمعين؟ هذا هو طريقك. هيا ادخلي. (يمسك بذراعها ويقذفها باتجاه باب الملجأ فتسقط على يدها وركبتها. تساعدها رمي على النهوض ثانية).

- برايس: (ينهض ويتجه بتردد نحو بيل) هون عليك يا صاحبي فهي لن تقدم على إيذائك.

- بيل: من الذي تدعوه بصاحبي؟ (مراقباً إياه بتوعد) ستقوم بمساندتها، أليس كذلك؟ ارفع يديك.

- رمي: (مسرعة نحوه باستياء كي توبخه): آه، أيها الوحش الضخم ـ (يهوي في الحال بيده اليسرى على وجهها، فتصرخ وتتهادى نحو الحوض حيث تجلس وهي تغطي

وجهها المرضوض بيديها ، وتهز نفسها ، وتئن من الألم).

- جيني: (وهي تتجه نحوها) آه، سامحك اللّه! كيف لك أن تضرب امرأة عجوزاً بتلك الطريقة؟

- بيل: (قابضاً عليها من شعرها بعنف شديد لدرجة أنها هي الأخرى تصرخ، ومبعداً إياها عن المرأة العجوز) إذا قلت سامحك اللّه مرة أخرى فسأرجو اللّه أن يسامحني على ضربة أخرى على فكك توقفك عن الصلاة لأسبوع.
(ممسكاً بها وملتفتاً بشراسة نحو برايس) هل لديك اعتراض على هذا؟ قل، هل لديك؟

- برايس: (برعب) لا يا صاحبي فلا علاقة لي بها.

- بيل: أحسنت! سوف أحشوك بوجبتي طعام، ومن ثم أقاتلك بإصبع واحدة أيها الجبان الجائع (مخاطباً جيني) والآن، هل تذهبين لإحضار موغ هابيجام، أم أنك تريدين أن أطيح بوجهك وأحضرها بنفسي؟

- جيني: (وهي تتلوى في قبضته) أوه، أرجوكم، فليدخل أحدكم ويخبر الرائد بربارة ــ (تصرخ ثانية وهو يلوي رأسها للأسفل بينما يفر برايس ورمي إلى داخل الملجأ).

- بيل: لن تقدمي على الدخول والوشاية بي لرائدك، أليس كذلك؟

- جيني: أوه، لا تشد شعري أرجوك. دعني أذهب.

- بيل: هل ستفعلين أم لا؟ (تكتم صرخة) نعم أم لا؟

- جيني: أمدني اللّه بالقوة ـ

- بيل: (لاكماً إياها بقبضته على وجهها) اذهبي وأريها هذه وقولي لها: إذا أرادت واحدة مثلها فلتأت وتواجهني (تدخل جيني إلى العلية وهي تبكي من شدة الألم. يتجه هو نحو المقعد ويخاطب الرجل) والآن، أنهِ طعامك وابتعد عن طريقي.

- شيرلي: (وهو ينهض ويواجهه بشراسة، والإبريق في يده) أنت تتجاوز حدودك معي. سأضربك على وجهك بالإبريق وأقتلع عينيك. لم يكفِ جرذاً صغيراً مثلك بأنه انتزع الخبز من أفواه من يكبرونه سناً، ومن قاموا بتربيته، وكدحوا من أجله؛ بل إنك تأتي لتضرب وتتحدث بوقاحة وتتأمر هنا حيث خبز الصدقات يشمئز في مَعِداتنا.

- بيل: (باحتقار، لكن بشيء من التراجع) أي فائدة ترجى منك أيها العجوز المغفل المشلول؟ أي فائدة ترجى منك؟

- شيرلي: أنا مثلك وأفضل منك. سوف أنجز عمل نهار متحدياً ما يمكن لك أو لشاب مخبول بعمرك أن ينجزه. اذهب واعمل مكاني في (هوروكسيز) حيث عملت لعشر سنوات. إنهم يطلبون شباباً هناك. لا يمكنهم الإنفاق للإبقاء على رجال قد تجاوزوا الخامسة والأربعين. إنهم آسفون جداً ـ يمنحونك

شهادة حسن سلوك، ويسعدهم تقديم العون لك كي تجد أي عمل يناسب سنك ـ وبالتأكيد، فإن الشخص المتزن لن يبقى لفترة طويلة بدون عمل. حسناً، دعهم يجربونك وسيجدون الفرق. ما الذي تعرف عمله؟ إنك لا تعرف ما يكفيك كي تحسن التصرف ـ وقد هويت بقبضتك القذرة على فم امرأة محترمة.

- بيل: لا تدفعني لأن أهوي بها على فمك. أتسمع؟

- شيرلي: (باحتقار قاتل) نعم. أنت ترغب بضرب رجل عجوز، أليس كذلك، بعد أن فرغت من ضرب المرأة. لم أرك تضرب شاباً حتى الآن.

- بيل: (مقروصاً) أنت تكذب يا زبون مطعم الفقراء العجوز. كان ثمة شاب هنا. هل عرضت أن أضربه أم لا؟

- شيرلي: هل كان يتضور جوعاً أم لا؟ هل كان رجلاً أم كان مجرد لص أحول ومتسكعاً؟ هل لك أن تضرب شقيق زوج ابنتي؟

- بيل: ومن يكون؟

- شيرلي: تودغار فيرمايل. من (بولز باوند). ذاك الذي ربح عشرين جنيهاً من المصارع الياباني في قاعة الموسيقا بعد أن صمد في وجهه لسبع عشرة دقيقة وأربع ثوانٍ.

- بيل: (بتهجم) أنا لست مصارع قاعات موسيقا. هل يجيد الملاكمة؟

- شيرلي: نعم. لكنك لا تجيدها.

- بيل: ماذا؟ أنا لا أجيدها، أليس كذلك؟ ما هذا الذي تقوله (مهدداً إياه)؟

- شيرلي: (دون أن يتزحزح إنشاً واحداً) هل لك أن تلاكم تودغار فيرمايل إذا أتيتك به. فقط أشر بذلك.

- بيل: (يهدأ ويمشي بتعب) سأتصدى لأي رجل على وجه الأرض حتى ولو كان بعشرة أضعاف قوة تودغار فيرمايل، لكني لا أقوم ببناء جسدي لأصبح محترفاً.

- شيرلي: (ناظراً إليه باحتقار لا يوصف) أنت تلاكم! وتصفع امرأة بقفا يدك؟ حتى إنك لم تكن عقلانياً بضربك إياها حيث أن المسؤولة لم تجد أثر الضربة أيها الشاب التافه، يا كتلة من الغرور والجهل. تضرب فتاة على فكها ولا تتسبب إلا ببكائها! لو كان تودغار فيرمايل هو من فعلها لما كان لها أن تنهض قبل عشر دقائق، و ما كان لك أنت أن تفعل لو تمكن منك. اجل! أنا كنت سأهاجمك بنفسي لو تم تأمين الغذاء لي لأسبوع بدلاً من أن أتضور جوعاً لشهرين (يعود إلى الطاولة ليتم وجبته).

- بيل: (تابعاً إياه ومنحنياً فوقه كي يهينه ذاتياً) أنت تكذب!

لقد تناولت الخبز ودبس السكر اللذين أتيت إلى هنا كي تتسولهما.

- شيرلي: (ينفجر بالبكاء) أوه، يا إلهي! هذا صحيح. أنا مجرد صعلوك عجوز قابع على كومة من القمامة. (بغضب شديد) لكنك أنت نفسك سيصل بك الحال إلى هنا، وحينها سوف تدرك الأمر. سيصل بك إلى هنا أسرع من ممتنع عن المسكرات مثلي، فأنت قادم وقد ملأت جوفك بمسكر الجن[٢] في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح.

- بيل: أنا لا أتعاطى مسكر الجن أيها العجوز الكاذب، لكن عندما أريد أن ألقن فتاتي درساً قيماً، أرغب بأن أكون إلى حد ما شيطانياً، أتفهم؟ وها أنا هنا أتحدث إلى عجوز مفسد نتن مثلك بدلاً من أن ألقنها ما تستحقه. (موصلاً نفسه إلى الهيجان) سأدخل إلى هنا لأخرجها (يتجه بحقد نحو باب الملجأ).

- شيرلي: من المرجح أنك ستذهب إلى المحطة على حمّالة الجرحى، وهناك سيخرجون مسكر الجن والشيطان من داخلك حين يمسكون بك في الداخل. هل تفكر بما أنت مقدم عليه؟ إن الرائد هنا هي حفيدة إيرل (ستيفانينج).

---

(٢) نوع من أنواع المسكرات. (المترجمة).

- بيل: (مكبوحاً) ماذا!

- شيرلي: سترى.

- بيل: (تتضاءل عزيمته) حسناً. أنا لم أفعل لها شيئاً.

- شيرلي: افترض أنها قالت إنك فعلت! من سيصدقك؟

- بيل: (بقلق شديد وهو يتسلل متراجعاً نحو زاوية الحجرة) يا إلهي! لا عدل في هذا البلد. عندما تفكر بما يمكن أن يفعله هؤلاء الناس!.

- شيرلي: أخبرها بهذا. هذا بالضبط ما يمكن أن يفعله أحمق مثلك

(تقبل بربارة برشاقة وجدية من الملجأ وهي تحمل دفتر ملاحظات، وتتوجه بالكلام إلى شيرلي. يجلس بيل مرعوباً في الزاوية على أحد المقاعد، ويدير ظهره لهما).

- بربارة: صباح الخير.

- شيرلي: (يقف وينزع قبعته) صباح الخير يا آنسة.

- بربارة: اجلس وتصرف بحرية (يتردد، ولكنها تضع يدها بلطف على كتفه، وتجعله يستجيب لها) الآن إذاً، وبما أنك أصبحت صديقاً لنا، نود أن نعرف كل شيء عنك. أسماؤك وعناوينك، ومهنتك.

- شيرلي: اسمي بيتر شيرلي. أنا مصلح محركات تم طردي من العمل منذ شهرين لأنني تقدمت في السن.

- بربارة: (غير متفاجئة على الإطلاق) ما زال بمقدورك الاستمرار في العمل. لمَ لم تصبغ شعرك؟

- شيرلي: لقد فعلت، لكن تم اكتشاف عمري عن طريق استجواب ابنتي جانباً.

- بربارة: هل أنت متزن؟

- شيرلي: إنني ممتنع عن المسكرات امتناعاً تاماً، ولم أطرد من العمل إطلاقاً من قبل. أنا عامل جيد، وقد تم إيقاعي بيد المحتالين كفَرَس عجوز.

- بربارة: لا يهم. إذا قمت بما عليك، فإن الله سيقوم بما عليه.

- شيرلي: (يغدو عنيداً فجأة) إن أمر ديني هو أمر لا يخص أحداً سواي.

- بربارة: (تُعمِل حدسها) أعلم. هل أنت علماني؟

- شيرلي: (بعنف) وهل أنكرت هذا؟

- بربارة: ولم عليك أن تفعل؟ والدي أنا علماني على ما أعتقد وأبونا - أبوك وأبي - يحقق ذاته بعدة وسائل، وأظن أنه كان يدرك ما كان يفعله حين جعل منك علمانياً، لذا، تشجع يا بيتر! بإمكاننا على الدوام إيجاد عمل لشخص متزن مثلك. (يتلمس شيرلي قبعته وقد تم استرضاؤه، وتستدير هي من جهته إلى جهة بيل) ما اسمك؟

- بيل: (بتعجرف) وما دخلك أنت؟

- بربارة: (تكتب ملاحظة بهدوء) خائف من إعطاء اسمه. هل لك مهنة؟

- بيل: من هو الذي يخاف من أن يعطي اسمه؟ (بعناد ، وهو يشعر بأنه يواجه ببسالة مجلس الأعيان المتمثل بشخص اللورد ستيفانينج) إن كنت تودين أن توجهي تهمة إلي فلتفعلي (تنتظر برباطة جأش) اسمي هو بيل ووكر.

- بربارة: (وكأن الاسم مألوف بالنسبة لها ، تحاول أن تتذكر أين سمعت به) بيل ووكر؟ (تستذكر) أوه، عرفت. أنت الشخص الذي كانت جيني هيل تصلي من أجله في الداخل للتو (تدرج اسمه في دفتر ملاحظاتها).

- بيل: من تكون جيني هيل؟ ومن طلب منها أن تصلي من أجلي؟

- بربارة: لا أدري. قد تكون أنت من جرح شفتها.

- بيل: (بتحدٍ) نعم، أنا هو من جرح شفتها. إني لست خائفاً منك.

- بربارة: وكيف يمكن أن تخافني طالما أنك لا تخاف اللّٰه؟ أنت رجل شجاع يا سيد ووكر. عملنا هنا يتطلب بعض الشجاعة ، لكن أحداً منا لا يجرؤ على أن يرفع يده على فتاة بهذه الطريقة خوفاً من أبيها في السماء.

- بيل: (بتهجم) لست بحاجة إلى ريائك. أظن أنك تحسبين أني أتيت إلى هنا كي أتسول منك مثل هؤلاء المعطوبين الموجودين هنا. لست أنا من يفعل هذا. لا أحتاج لأن تقدمي لي الخبز

وتنهشي لحمي كما لو كنت في حضن هرة. إني لا أؤمن بإلهك؛ لا أؤمن به أكثر مما تفعلين أنت نفسك.

- بربارة: (بطريقة تبريرية مرحة تليق بسيدة نبيلة، كما لو أنها تريد أن تفتح صفحة جديدة معه) أوه، أعتذر لأني قمت بتسجيل اسمك يا سيد ووكر. لم أستوعب الأمر. سوف أشطبه.

- بيل: (معتبراً هذا الأمر إهانة، ومجروحاً بعمق من جرائه) هيه! دعي اسمي وشأنه. أليس جديراً بأن تسجليه في دفتر ملاحظاتك؟

- بربارة: (تفكر ملياً) حسناً، كما ترى. لا فائدة من تسجيل اسمك إلا إذا كان بمقدوري فعل شيء من أجلك. هل هنالك شيء يمكن أن أفعله من أجلك؟ ما هي مهنتك؟

- بيل: (ما يزال يتألم) لا دخل لك بهذا.

- بربارة: هكذا إذاً (بجدية فائقة) سأسجلك على أنك (تكتب) الرجل الذي قام بضرب جيني هيل الصغيرة المسكينة على فمها.

- بيل: (ينهض متوعداً) انظري إلى هنا. لقد ضقت ذرعاً بهذا.

- بربارة: (بمرح تام ودون أي خوف) ما الذي جعلك تأتي إلينا؟

- بيل: لقد أتيت من أجل فتاتي، أتفهمين؟ أنا قادم كي أخرجها من هذا المكان، وأحطم فكّها.

- بربارة: (بلطف) لقد كنت محقة بشأن مهنتك كما ترى (ينتاب بيل، وهو على وشك الرد بعصبية بالغة، الخزي الشديد والرعب إذ يجد نفسه معرضاً لخطر البكاء بدلاً من الرد. يجلس ثانية بشكل مفاجئ) ما اسمها؟

- بيل: (بعناد) موغ أبيجام. ذلك هو اسمها.

- بربارة: آه، لقد ذهبت إلى بلدة (كاننغ)، إلى ثكناتنا هناك.

- بيل: (متحصناً بازدرائه من خيانة موغ) حقاً؟ (بحقد) إذاً سألحق بها إلى بلدة (كينين). (يعبر باتجاه البوابة. يتردد، ويعود أخيراً إلى بربارة) هل تكذبين علي كي تتخلصي مني؟

- بربارة: أنا لا أريد التخلص منك. أريد أن أبقيك هنا وأخلص روحك. من الأفضل لك أن تبقى هنا إذ أنك ستمضي وقتا عصيباً هذا اليوم يا بيل.

- بيل: من سيجعلني أمضي وقتا عصيباً؟ أنت ربما.

- بربارة: ذاك الذي لا تؤمن به، لكنك ستحصل على السعادة فيما بعد.

- بيل: (يتسلل خارجاً) سأذهب إلى بلدة (كينين) كي أكون في منأى عن لسانك (يلتفت نحوها فجأة وبمكر شديد) وإن لم أجد موغ هناك سأعود وأقعدك لمدة عامين، وليلعني اللّه إذا لم أفعل.

- بربارة: (تحاول أن تكون ألطف بقليل إن أمكنها ذلك) لا فائدة من هذا يا بيل. لقد وجدَت رجلاً آخر.

- بيل: ماذا!

- بربارة: رجل ممن اهتدوا على يدها هي. لقد وقع في حبها حين رآها بروحها المخلّصة، ووجهها المطهر، وشعرها المغسول.

- بيل: (متفاجئاً) ولم قامت بغسله تلك الفاسقة ذات البشرة الجزرية اللون. إن لونه أحمر.

- بربارة: إنه جميل جداً الآن لأن عينيها باتت تشع منهما نظرات جديدة معه. من المؤسف أنك تأخرت كثيراً. لقد قام الرجل الجديد بانتزاعك من مقامك يا بيل.

- بيل: سأعمل أنا على نزعه، ليس لأن لدي أقل اهتمام لأمرها، تذكري هذا، بل لكي أعلمها كيف تتخلى عني وكأنني قمامة، وسأعلمه هو كيف يتدخل في أموري. ما هو اسمه اللعين؟

- بربارة: الضابط تودغار فيرمايل.

- شيرلي: (ينهض ببهجة شرسة) سأذهب معه يا آنسة. أريد أن أراهما هما الاثنين يلتقيان. سآخذه إلى المستوصف عندما ينتهي الأمر.

- بيـل: (مخاطبـاً شـيرلي بـشكٍّ مـبهم) هـل ذاك هـو الـذي كنـت تتحدث عنه؟

- شيرلي: ذلك هو.

- بيل: ذاك الذي كان يصارع في قاعة الموسيقا؟

- شيرلي: كان يكسب من المباريات في النادي الرياضي الوطني ما يقـارب مائـة جنيـه في الـسنة. وقـد اسـتغنى عنهـا الآن في سـبيل الـدين، لـذا، فـإن قـواه قـد ضـعفت بعـض الـشيء نتيجـة لقلـة التـدريب الـذي كـان معتـاداً عليـه. ستـسعده رؤيتك. هيا بنا.

- بيل: كم يبلغ وزنه؟

- شيرلي: مئة وثلاثة وأربعين (يتلاشى آخر أمل عند بيل).

- بربارة: اذهب وتحدث إليه يا بيل. سوف يرشدك إلى سبيل الدين.

- شيرلي: سوف يحول رأسك إلى بطاطا مهروسة.

- بيـل: (بـتجهم) لـست خائفـاً منـه. لـست خائفـاً مـن أحـد. لكـن بإمكـانـه أن يتفـوق علـي. لقـد قـضت هـي علـي (يجلـس بكآبة على حافة حوض سقاية الخيل).

- شيرلي: لن تذهب. عرفت أنك لن تفعل (يجلس ثانية).

- بربارة: (تنادي) جيني.

- جيني: (تظهر عند باب الملجأ وقد وضعت لصاقة طبية على زاوية فمها) نعم أيتها الرائد.

- بربارة: أخرجي رمي متشنز لترتب أمرها هنا.

- جيني: أظن أنها خائفة.

- بربارة: (يظهر شبهها بأمها جلياً للحظة) هذا هراء! عليها أن تقوم بما يطلب منها.

- جيني: (تتوجه بالنداء إلى داخل الملجأ) تقول الرائد بأن عليك المجيء يا رمي (تتجه جيني نحو بربارة، وتلزم عن قصد الجانب المجاور لبيل كي لا يظن بأنها تنفر منه أو تحقد عليه).

- بربارة: أيتها الصغيرة المسكينة جيني، هل أنت متعبة؟ (تنظر إلى الوجنة المجروحة) هل تؤلمك؟

- جيني: لا. إنها على ما يرام الآن. هذا لا يمثّل شيئاً.

- بربارة: (بانتقاد) لقد ضربك بكل ما أوتي من قوة على ما أعتقد أيها المسكين بيل! لست غاضبة منه، أليس كذلك؟

- جيني: أوه، لا لا لا. أنا فعلاً لست كذلك أيتها الرائد. باركي قلبه المسكين (تقبلها بربارة وتركض هي بمرح إلى داخل الملجأ. يتلوى بيل على أثر عودة مؤلمة للأعراض الجديدة والمنذرة بالخطر إليه، لكنه لا يقول شيئاً. تخرج رمي متشنز من الملجأ).

- بربارة: (وهي ذاهبة لملاقاة رمي) هيا يا رمي. أسرعي. خذي تلك الأباريق والصحون للداخل كي يتم غسلها ، وانثري الفتات للعصافير.

(تأخذ رمي الصحون والأباريق الثلاثة ، لكن شيرلي يستعيد إبريقه منها لأنه ما يزال يحوي بعض الحليب).

- رمي: ليس هنالك أي فتات. ليس هذا وقت إضاعة الخبز اللذيذ على العصافير.

- برايس: (يظهر عند باب الملجأ) هناك رجل نبيل جاء ليلقي نظرة على الملجأ أيتها الرائد. يقول إنه والدك.

- بربارة: حسناً ، أنا قادمة. (يعود سنوبي للملجأ تتبعه بربارة).

- رمي: (تتسلل نحو بيل، وتخاطبه بصوت منخفض لكن بلومٍ شديد) كنت سأنتقم منك يا مدكوك الأذنين، يا ذا الأنف الخنزيري، يا من يضرب مستخدماً الأواني لو كانت تسمح لي بذلك. إنك لست نبيلاً فقد أقدمت على ضرب سيدة على وجهها (لا ينتبه بيل لها فهو يفكر بأشياء أكبر من هذه).

شيرلي: (تابعاً إياها) أنت! هيا ادخلي، ولا توقعي نفسك في مزيد من المشاكل من خلال كلامك.

- رمي: (بتعجرف) لم أتشرف بالتعرف بك على ما أذكر (تدخل الملجأ ومعها الأطباق).

- شيرلي: إنه الـ.....

- بيل: (بوحشية) لا تكلمني. هل تفهم؟ دعني وشأني، وإلا قمت بإيذائك. أنا لست قمامة تحت قدميك بأي حال من الأحوال.

- شيرلي: (بهدوء) لا تخف، فأنت لست ذلك الصديق الأصيل الذي يتوقع أن يسعى الآخرون وراءه (حين يكون على وشك الدخول إلى الملجأ تخرج بربارة مع أندر شافت إلى يمينها).

- بربارة: أوه، أهلاً بك يا سيد شيرلي! (بينها وبينه) هذا أبي. أخبرتك بأنه علماني، أليس كذلك؟ قد تكونان قادرين على مواساة بعضكما البعض.

- أندرشافت: (بدهشة) علماني؟ ليس الأمر كذلك على الإطلاق. على العكس، أنا صوفي متشدد.

- بربارة: عذراً. أنا على ثقة بهذا. بالمناسبة يا أبي، ما هي ديانتك— فقط في حال احتجت لأن أقدّمك مرة أخرى؟

- أندرشافت: ديانتي؟ حسناً يا عزيزتي، أنا مليونير، وهذه هي ديانتي.

- بربارة: إذاً أخشى أنك والسيد شيرلي لن تكونا قادرين على مواساة بعضكما البعض في نهاية الأمر. أنت لست مليونيراً، أليس كذلك يا بيتر؟

- شيرلي: لست كذلك، وأنا فخور بهذا.

- أندرشافت: (بقلق بالغ) إن الفقر يا صديقي ليس بالأمر الذي تفخر به.

- شيرلي: (بعصبية) من أكسبك ملايينك؟ أنا وأمثالي. وما الذي يبقينا فقراء؟ بقاؤك غنياً. أنا لا أقبل بأن يكون لدي ضمير كضميرك، ولا حتى مقابل دخلك كله.

- أندرشافت: وأنا لا أقبل بدخل كدخلك، ولا حتى مقابل ضميرك بكامله يا سيد شيرلي (يذهب إلى العلية ويجلس على أحد المقاعد).

- بربارة: (توقف شيرلي ببراعة وهو على وشك الإجابة) ما كنت لتفكر أنه يمكن أن يكون والدي، أليس كذلك يا بيتر؟ هل لك أن تدخل إلى الملجأ وتساعد الفتيات لبعض الوقت. لقد عملنا حتى أنهكت أقدامنا.

- شيرلي: (بمرارة) نعم. أنا مدين لهن بوجبة طعام، أليس كذلك؟

- بربارة: أوه، ليس لأنك مدين لهن، ولكن بدافع محبتك بهن يا بيتر، بدافع محبتك بهن (لا يستطيع الاستعياب، ويشعر بالخزي بعض الشيء) أنت! لا تحدق بي. هيا ادخل وأعطِ ذلك الضمير الذي لديك إجازة (تستحثه ليدخل الملجأ).

- شيرلي: (أثناء دخوله) آه! إنه لأمر مثير للشفقة أنك لم تتدربي مطلقاً على استخدام عقلك يا آنسة. كان من الممكن أن تكوني محاضرة عظيمة التأثير في موضوع العلمانية.

(تعود بربارة إلى والدها)

- أندرشافت: لا تكترثي بي يا عزيزتي. ابدئي عملك، ودعيني أتابعه لبعض الوقت.

- بربارة: حسناً.

- أندرشافت: ما أمر ذلك المريض غير المقيم الذي يقبع هناك على سبيل المثال؟

- بربارة: (ناظرة إلى بيل الذي لم يتغير سلوكه مطلقاً، وازداد تعبير الغضب الكئيب البادي عليه عمقاً) أوه، سرعان ما نقوم بشفائه. راقب فقط. (تتجه نحو بيل وتنظر. يرمقها بنظره للأعلى ومن ثم يخفض بصره ثانية بقلق وبتجهم لم يسبق له مثيل) سيكون أمراً حسناً بالنسبة لك لو استطعت فقط أن تضرب موغ هابيجام على وجهها، أليس كذلك يا بيل؟

- بيل: (ينهض فجأة من مجلسه على حوض سقاية الخيل وقد ملأه الرعب) هذه كذبة. أنا لم أقل هذا أبداً (تهز رأسها) من أخبرك بما كنت أنوي فعله؟

- بربارة: صديقك الجديد فحسب.

- بيل: أي صديق جديد؟

- بربارة: الشيطان يا بيل. حين يقوم بخداع البشر يصبحون تعساء. مثلك تماماً.

- بيل: (بمحاولة مأساوية مصطنعة لإبداء المرح) أنا لست تعساً. (يجلس ثانية و يمد ساقيه في محاولة لأن يبدو غير مبالٍ).

- بربارة: حسناً، إذا كنت سعيداً فلم لا تبدو سعيداً كما نبدو نحن؟

- بيل: (تنطوي ساقاه إلى الخلف على الرغم منه) أقول لك إني سعيد جداً. لم لا تدعينني وشأني؟ ما الذي فعلته لك؟ أنا لم أهشم وجهك، أليس كذلك؟

- بربارة: (تحاول التودد بلطف إلى روحه) لست أنا من سيثأر منك يا بيل

- بيل: ومن سيفعل ذلك غيرك؟

- بربارة: أحد لا يريد منك أن تهشم وجوه النساء على ما أظن. أحد ما أو شيء ما يرغب في أن يجعل منك رجلاً.

- بيل: (بتوعد) يجعل مني رجلاً! ألست رجلا؟ ها؟ ألست رجلاً؟ من يقول إني لست رجلاً؟

- بربارة: أعتقد أن هنالك رجلاً في مكان ما في داخلك، لكن لماذا يدعك تضرب جيني هيل المسكينة؟ لم يكن هذا تصرفاً رجولياً جداً من ناحيته، أليس كذلك؟

- بيل: (متألماً) أقول لك يكفي هذا. كوني على ثقة بأني قد سئمت من قصة جيني هيل ووجهها الصغير التافه.

- بربارة: إذاً لم أنت دائم التفكير بالأمر؟ لماذا يتردد في ذهنك باستمرار مديناً إياك؟ إنك لا تسير على درب الهداية، أليس كذلك؟

- بيل: (بقناعة) لست أنا من يفعل ذلك. وليس هناك احتمال بأن أفعل، ولا نصف احتمال حتى.

- بربارة: هذا صحيح يا بيل، لكن، ناضل ضد هذا الشعور. استخدم قوتك. لا تدعنا نستهين بك. لقد قال تودغار فيرمايل إنه صارع لثلاثة ليالٍ مقاوماً خلاصه، وكان ذلك أصعب عليه من أي من جولات مصارعته مع اليابانيين في قاعة الموسيقا. لقد استسلم لليابانيين عندما كانت ذراعه على وشك أن تكسر، لكنه لم يستسلم لخلاصه إلا بعد أن كاد قلبه يتحطم. ربما ستنجو أنت من هذا إذ أنك لا تملك قلباً، أليس كذلك؟

- بيل: ماذا تعنين؟ لماذا ليس لدي قلب مثلي مثل أي شخص آخر؟

- بربارة: إن رجلاً يملك قلباً ما كان له أن يسحق وجه جيني المسكينة الصغيرة، أليس كذلك؟

- بيل: (وهو على وشك البكاء) ووه. هل لك أن تدعيني وشأني. هل حاولتُ مرة أن أتدخل في شؤونك حتى تأتي لتتذمري وتستفزيني بهذه الطريقة؟

(يتلوى بتشنج من عينيه حتى أصابع قدميه).

- بربارة: (وهي تمسك بذراعه بعد ثانية مسترضية، وتتحدث إليه بصوت حنون لا يمكنه معه أن يغادر) إن روحك هي التي تتسبب لك بالألم يا بيل وليس أنا. لقد مررنا بهذا جميعنا. تعال معنا يا بيل، (ينظر حوله بوحشية)، إلى الرجولة الشُّجاعة على الأرض، والمجد الأبدي في السماء (يصل إلى حافة الانهيار) أقبل (يسمع قرع طبل في الملجأ، ويهرب بيل بنفس منقطع من سيطرة التعويذة، بينما تستدير بربارة بسرعة. يدخل أدولفوس كزنز قادماً من الملجأ وهو يحمل طبلاً كبيراً) أوه. أهلاً بك يا دولي. دعني أقدم لك صديقاً جديداً لي: السيد بيل ووكر. هذا فتاي يا بيل، السيد كزنز (يلقي كزنز التحية من خلال نقارة طبله).

- بيل: هل ستتزوجين به؟

- بربارة: أجل.

- بيل: (بحماس) كان الله في عونه! كان الله في عونه!

- بربارة: لماذا؟هل تعتقد أنه لن يكون سعيداً معي؟

- بيل: لقد اضطررت لأن أحتملك لنهار واحد، لكنه سيكون مضطراً لذلك مدى الحياة.

- كزنز: تلك فكرة مرعبة ياسيد ووكر. لكني لا أستطيع أن أفصل نفسي عنها.

- بيل: حسناً، أنا أستطيع. (مخاطباً بربارة) أنت! هل تعلمين إلى أين أنا ذاهب، وما الذي سأفعله؟

- بربارة: أجل. إنك ذاهب إلى الجنة، وسوف تعود إلى هنا قبل نهاية الأسبوع كي تخبرني بهذا.

- بيل: أنت تكذبين. أنا ذاهب إلى بلدة (كينين) كي أبصق في عين تودغار فيرمايل. لقد هشمت وجه جيني هيل، والآن، سوف يتم تهشيم وجهي أنا، وسأعود وأريها إياه. سيهشّم وجهي كما هشمت وجهها، وهذا سيجعلنا متعادلين. (مخاطباً أدولفوس) هل هذا عادلٌ أم لا؟ أنت سيد نبيل وعليك أن تعرف.

- بربارة: لن يغفر ذنبك إذا أذنب شخص آخر بحقك يا بيل.

- بيل: أنا لم أسألك. أليس بمقدورك إبقاء فمك مغلقاً. لقد سألت السيد النبيل.

- كزنز: (بتأمل) نعم، أظن أنك على حق يا سيد ووكر. نعم علي أن أقول هذا. إنه شيء طريف. إنه بالضبط الشيء الذي

كان سيفعله اليوناني القديم.

- بربارة: ولكن، ماالفائدة من هذا؟

- كزنز: حسناً، هذا سيكسب السيد فيرمايل بعض التدريب وسيرضي روح السيد ووكر.

- بيل: هذا هراء! ليس هناك شيء اسمه الروح. هل لكما أن تعرفا إن كانت لدي روح أم لا؟ أنتما لم ترياها على الإطلاق.

- بربارة: لقد شاهدتها تعذبك عندما تصرفت بما يخالفها.

- بيل: (بثوران مكبوت) لو كنت صاحبتي، وأخرجت الكلمة من فمي بهذه الطريقة، لكنت سألقنك شيئاً يجعلك أنت تشعرين بالعذاب. هذا ما كنت سأفعله (مخاطباً أدولفوس) تصرف بناءً على فكرتي يا صاحبي. أوقف فكها عند حده، وإلا، فسوف تموت قبل أوانك. (بأسلوب حاد) سوف تفنى. هذا ما سيحل بك. سوف تفنى (يخرج عبر البوابة).

- كزنز: (وهو يتابعه بنظره) أنا مستغرب!

- بربارة: دولي! (باستياء على طريقة أمها).

- كزنز: نعم يا عزيزتي. إن الوقوع في حبك لأمر منهك جداً وإذا استمر أظن أني سأموت شاباً.

- بربارة: وهل ستبالي بهذا؟

- كزنز: لن أبالي على الإطلاق (يصبح لطيفاً فجأة، ويقبّلها على لحن الطبل، وكما يبدو واضحاً، ليس للمرة الأولى، فالناس لا يستطيعون أن يقبلوا بعضهم بعضاً على لحن طبل كبير من دون تدريب. يسعل أندرشافت).

- بربارة: إن الأمر على ما يرام يا أبي، فنحن لم ننس وجودك. عرِّف أبي على المكان يا دولي فأنا ليس لدي الوقت لهذا (تدخل الملجأ بانشغال).

(يبقى أندرشافت وأدولفوس في هذه الأثناء وحيدين في الفناء. أثناء جلوس أندرشافت على أحد المقاعد وهو لا يزال مصغياً باهتمام، ينظر إلى أدولفوس بصرامة. ينظر أدولفوس إليه بصرامة).

- أندرشافت: أتصور أن بإمكانك أن تخمن بعضاً مما يدور في ذهني يا سيد كزنز (يلوح كزنز بنقارات طبله كما لو أنه يقرع نغماً مرحاً، لكنه لا يصدر أي صوت) الأمر كذلك تماماً لكن افرض لو اكتشفت بربارة أمرك!

- كزنز: تعلم أني لا أعترف بكوني أتطفل على بربارة. أنا صدقاً مهتم كل الاهتمام بمعتقدات جيش الخلاص الروحي. في الواقع، يمكن القول بأني جامع للأديان، والشيء الغريب هو أني أجد نفسي قادراً على الإيمان بها كلها، بالمناسبة، هل لديك دين؟

- أندرشافت: أجل.

- كزنز: وهل يتضمن شيئاً خارجاً عن المألوف؟

- أندرشافت: فقط كون هنالك أمران ضروريان للخلاص.

- كزنز: (بخيبة لكن بلباقة) آه، الإلمام بمسائل الدين اللازمة للعضوية في الكنيسة. تشارلز لوماكس أيضاً ينتمي للكنيسة الرسمية.

- أندرشافت: الشيئان هما —

- كزنز: التعميد و —

- أندرشافت: كلا بل المال والبارود.

- كزنز: (بدهشة لكن باهتمام) ذاك هو الاعتقاد المشترك لدى طبقتنا الحاكمة، لكن الجديد في الأمر هو أن تسمع أحداً يقر بهذا.

- أندرشافت: تلك هي.

- كزنز: عذراً، لكن هل هناك أي مكان في دينك للشرف والعدالة والحق والحب والرحمة وغيرها؟

- أندرشافت: أجل. إنها فضائل ورفاهيات حياة الثراء والقوة والأمان.

- كزنز: افرض لو أن المرء أجبر على الاختيار بينها وبين المال والبارود

- أندرشافت: اختر المال والبارود، فإن لم تحصل على كفايتك منهما، لن يكون بمقدورك الإنفاق على الباقين.

- كزنز: ذاك هو دينك؟

- أندرشافت: أجل.

يختم إيقاع رده المحاورة ختاماً تاماً. يدير كزنز وجهه بارتياب ويتأمل أندرشافت، ويقوم أندرشافت بتأمله).

- كزنز: لن تحتمل بربارة ذلك. عليك أن تختار ما بين دينك وبين بربارة.

- أندرشافت: سيكون عليك أيضاً فعل هذا يا صديقي فهي ستكتشف أن طبلك ذاك أجوف.

- كزنز: أيها الأب أندرشافت، إنك مخطئ، فأنا مخلص صادق. أنت لا تفهم جيش الخلاص الروحي. إنه جيش المرح والحب والإقدام. لقد عمل على إبعاد الخوف والندم واليأس عن الطوائف الأنجليكانية القديمة التي كان يحكمها الجحيم. إنه يتقدم ليحارب الشيطان عن طريق البوق والطبل والموسيقا والرقص والراية وقبضة اليد بحيث يغدو أشبه بهجمة من السماء تشنها حامياته العسكرية المستبشرة. إنه يُخرج الفاسق من الخمارة ويجعل منه رجلاً. إنه يلتقط الديدان التي تتلوى في المطابخ الخلفية، ولاحظ! إنه يخلص النساء حتى!

بالإضافة إلى رجال ونساء ذوي منزلة رفيعة، وأبناء وبنات أفراد أرقى الطبقات. إنه يأتي ليقطع أستاذ اليونانية الفقير، أكثر الكائنات البشرية زيفاً وكبتاً لنفسه، عن تناول وجبته المكونة من الجذور، ويقضي على الكاتب المتحمس بداخله، ويكشف له معنى العبادة الحقيقية لديونيوس، ويبعث به إلى الشارع العام ليقرع على الطبل أنغام القصائد الحماسية الجياشة. (يدق مقطوعة مجلجلة على الطبل).

- أندرشافت: سوف تنشر الهلع في الملجأ.

- كزنز: أوه، إنهم معتادون على نشوات التقوى المفاجئة تلك لكن، إذا كان الطبل يزعجك ـ (يضع نقارات الطبل في جيبه ويفك الطبل ويوقفه على الأرض قبالة المدخل).

- أندرشافت: شكراً لك.

- كزنز: هل تذكر ما قاله يوريبيدوس عن أموالك وبارودك؟

- أندرشافت: لا.

- كزنز: (بأسلوب خطابي)

شخص ما أو آخر سواه

قد يتفوق على أخيه بالمال والسلاح

والبشر بملايينهم يرتقون ويهبطون

ويفور جوفهم بملايين الآمال كما الخميرة

وإنهم يظفرون بإرادتهم أو يضيعونها

وآمالهم إما أن تفنى، أو تتقلص نتيجةً لركود أحوالهم

لكن، من يستطيع أن يتوصل مع مرور الزمن لمعرفة

أن الحياة سعيدة يكون قد وجد جنته

هذه ترجمتي، ما رأيك بها؟

- أندرشافت: أعتقد يا صديقي أنك إذا كنت ترغب بأن تتوصل مع مرور الزمن إلى معرفة أن الحياة سعيدة، فعليك أولاً أن تمتلك ما يكفيك من المال كي تحيا حياة كريمة، وما يكفيك من القوة كي تكون سيد نفسك.

- كزنز: إنك تضعف العزيمة بشكل فظيع (يتابع خطابه)

من الصعب جداً أن تدرك

بأن روح اللّه ـ مهما كانت ـ

هي الشريعة التي تبقى ولا تتغير على مر العصور

والشيء الخالد، والأشياء التي تنتجها الطبيعة

هل هي أشياء قوية؟

ماذا يمكن أن تكون الحكمة غير هذا؟

ما هو الشيء البالغ الجمال والبالغ العظمة في سعي الإنسان

أو في نعمة اللّه على البشر بالجنة؟

هل نتحرر من الخوف، هل نعيش وننتظر
هل نبقي يدنا مرفوعة فوق إرادة القدر؟
وأليس لبربارة أن تعشق للأبد؟

- أندرشافت: يوريبيدوس يذكر بربارة، أليس كذلك؟

- كزنز: هذه ترجمة صحيحة فالكلمة تعني 'الجمال'.

- أندرشافت: هل لي أن أسألك ـ بصفتي والد بربارة ـ كم سيكون دخلك في السنة كي تحبها للأبد بالاعتماد عليه؟

- كزنز: بصفتك والد برباة فهذا شأنك أكثر مما هو شأني. بإمكاني إطعامها من خلال تدريسي لليونانية. هذا كل شيء.

- أندرشافت: هل تعتبر هذه زيجة جيدة بالنسبة لها؟

- كزنز: (بعناد مهذب) سيد أندرشافت، أنا شخص ضعيف وجبان وعاجز في كثير من الأحوال، وصحتي أقل من أن تعتبر مقبولة، لكن حين أشعر بأني يجب أن أحصل على شيء ما، يكون لي ذلك عاجلاً أم آجلاً؛ ولدي هذا الشعور تجاه بربارة. أنا لا أحب الزواج، وأشعر بخوف شديد حياله، ولا أعلم ما الذي سأفعله مع بربارة، أو ما الذي ستفعله هي معي، لكني أشعر أني أنا، ولا أحد سواي، يجب أن أتزوجها، فمن فضلك اعتبر هذا الأمر محسوماً ـ ليس لأني أرغب بأن أكون مستبداً، لكن لمَ أضيع

وقتك بمناقشة ما هو حتمي؟

- أندرشافت: تعني أنك لن تتمسك بأي شيء، ولا حتى بهداية جيش الخلاص الروحي إلى عبادة ديونيوس.

- كزنز: إن عمل جيش الخلاص الروحي هو الإيصال للجنة وليس الجدل حول اسم من اكتشف السبيل إلى ذلك. ماذا يهم إن كان ديونيوس أو غيره قد فعل هذا؟

- أندرشافت: (ينهض ويقترب منه) إنك شاب قريب من قلبي أيها الأستاذ كزنز.

- كزنز: إنك، وحسب تقديري، وغد عجوز لعين لأبعد حد يا سيد أندرشافت، لكنك تروق كثيراً لحس المرح الساخر الذي أمتلكه.

- (يمد أندرشافت يده بصمت ويتصافحان).

- أندرشافت: (يركز تفكيره فجأة) والآن، إلى العمل.

- كزنز: عذراً، لكننا كنا نتناقش في الدين، فلماذا نعود لموضوع غير ممتع ولا مهمّ كالعمل؟

- أندرشافت: الدين هو عملنا في الوقت الحاضر لأننا من خلال الدين وحده يمكننا الفوز ببربارة.

- كزنز: هل وقعت أنت أيضاً في حب بربارة؟

- أندرشافت: أجل. حب أبوي.

- كزنز: إن حب الأب لابنته الناضجة هو أخطر أنواع الافتتان. أعتذر لأني أشرت إلى حبي الواهن الخجول غير الجدير بالثقة في آن واحد معه.

- أندرشافت: عد لموضوعنا. علينا أن نكسبها، وكلانا لسنا من أتباع المذهب المنهجي.

- كزنز: هذا لا يهم. إن القوة التي تستخدمها بربارة هنا ـ أي القوة التي تستخدم بربارة ذاتها ـ ليست هي الكالفينية ولا المشيخية ولا المنهجية ـ

- أندرشافت: ولا اليونانية الإلحادية، أليس كذلك؟

- كزنز: أنا أقر بهذا، فبربارة لها دينها الخاص كلياً بها.

- أندرشافت: (بانتصار) إذاً سيكون دين بربارة أندرشافت فوحيها ينبع من داخلها.

- كزنز: وكيف تعتقد أنه وصل إلى هناك؟

- أندرشافت: (بحماس متزايد) إنه إرث عائلة أندرشافت. سأسلم شعلتي لابنتي. سوف تهدي الناس إلى ديني، وتعظ بإنجيلي -

- كزنز: ماذا! المال والبارود؟

- أندرشافت: أجل، المال و البارود، الحرية و القوة، الأمر بالحياة، والأمر بالموت.

- كزنز: (بلباقة، محاولاً الهبوط به إلى الأرض) هذا ممتع للغاية يا سيد أندرشافت. أنت تعرف طبعاً أنك مجنون.

- أندرشافت: (بقوة مضاعفة) وأنت؟

- كزنز: أوه، أنا مجنون بصفتي صانع قبعات. أرحب بمعرفتك بسرّي كوني اكتشفت سرك، لكنني مندهش. هل بمقدور رجل مجنون صنع المدافع؟

- أندرشافت: وهل يمكن لأي شخص آخر غير المجنون صنعها. والآن (بطاقة متفجرة) سؤال بسؤال؛ هل يمكن لرجل عاقل ترجمة ما قاله يوريبيدوس؟

- كزنز: لا.

- أندرشافت: (قابضاً عليه من كتفه) وهل بمقدور امرأة عاقلة أن تجعل من فاسق رجلاً، أو من مخلوقة جديرة بالازدراء سيدة؟

- كزنز: (وهو يترنح في وجه العاصفة) أيها الأب الضخم ـ أيها المليونير العملاق ـ

- أندرشافت: (دافعاً إياه) هل هناك مجنون واحد أم ثلاثة في ملجأ الخلاص الروحي هذا اليوم؟

- كزنز: هل تعني أن بربارة مجنونة مثلنا؟

- أندرشافت: (يدفعه برفق مبعداً إياه، ويستعيد اتزانه فجأة وبشكل كامل) كفى أيها الأستاذ الجامعي! دعنا نسمي الأشياء بأسمائها. أنا مليونير، وأنت شاعر، وبربارة مخلّصة أرواح. ما دخلنا نحن الثلاثة بالرعاع السوقي من العبيد والوثنيين؟

(يجلس ثانية ويهز كتفيه هزة ازدراء من الرعاع)

- كزنز: احذر! بربارة تحب الناس العاديين، وأنا كذلك. ألم تشعر يوماً بشاعرية ذلك الحب؟

- أندرشافت: (ببرود وبضحكة صفراوية) هل وقعت يوماً في حب الفقر مثل القديس فرانسيس؟ هل وقعت يوماً في حب القذارة مثل القديس سيميون؟ هل وقعت يوماً في حب المرض والمعاناة مثل ممرضاتنا ومحسنينا؟ تلك المشاعر ليست فضائلَ، بل هي أكثر الرذائل شذوذاً. حب الناس العاديين هذا ربما يسعد حفيدة إيرل أو أستاذاً جامعياً، لكني أنا كنت شخصاً عادياً، بل وشخصاً فقيراً، ولم يكن في الأمر شاعرية بالنسبة لي. اترك للفقراء أن يتظاهروا بأن الفقر هو نعمة. دع الجبان يجعل من جبنه ديناً من خلال الوعظ بالخنوع، فنحن نعرف ما هو أفضل من

هذا. علينا نحن الثلاثة أن نتخذ لنا موقعاً يفوق العامة.

- كيف يمكننا أن نساعد أولادهم على الارتقاء إلى جوارنا إن لم نفعل ذلك؟ يجب على بربارة أن تنتمي لنا وليس لجيش الخلاص الروحي.

- كزنز: حسناً، كل ما يمكنني قوله لك هو أنك إذا كنت تظن أن بإمكانك إبعادها عن جيش الخلاص الروحي عن طريق التحدث إليها كما كنت تتحدث معي فأنت لا تعرف بربارة.

- أندرشافت: أنا لا ألتمس مطلقاً ما بوسعي شراؤه يا صديقي.

- كزنز: (بانفعال بريء) هل أفهم أنك تعني أن بإمكانك شراء بربارة؟

- أندرشافت: لا، لكن بإمكاني شراء جيش الخلاص الروحي.

- كزنز: هذا محال تماماً.

- أندرشافت: سترى. إن كل التنظيمات الدينية تحافظ على بقائها من خلال بيع نفسها للأغنياء.

- كزنز: ولكن ليس جيش الخلاص الروحي، فهو كنيسة الفقراء.

- أندرشافت: وهذا السبب الإضافي الكافي لجعلي أشتريه.

- كزنز: لا أظنك تفهم تماماً ما يقوم به الجيش من أجل الفقراء.

- أندرشافت: بلى، أفهم ما يقوم به. إنه ينتزع أسنانهم، وهذا كاف بالنسبة لي ـ بصفتي رجل أعمال ـ

- كزنز: هذا هراء! إنه يجعل منهم عقلاء ـ

- أندرشافت: أنا أفضل العمال العقلاء، فالأرباح ضخمة.

- كزنز: ـ ونزيهين ـ

- أندرشافت: العمال النزيهون هم الأكثر ادخاراً.

- كزنز: ـ ومتمسكين بمنازلهم ـ

- أندرشافت: هذا أفضل بكثير، فهم سيحتملون أي شيء مقابل ألا يبدلوا مكان عملهم.

- كزنز: ـ وسعداء ـ

- أندرشافت: هذا يشكل وقاية لا تقدر بثمن ضد التمرد.

- كزنز: ـ وإيثاريين ـ

- أندرشافت: أي لا يبالون بمصالحهم الخاصة، وهذا شيء يناسبني تماماً.

- كزنز: ـ ويجعل أفكارهم تتجه نحو أمور سماوية ـ

- أندرشافت: (وهو ينهض) ولا تتجه نحو نقابات العمال والاشتراكية. هذا ممتاز.

- كزنز: (ثائراً) أنت بحقّ وغد عجوز لعين.

- أندرشافت: (مشيراً إلى بيتر شيرلي الذي قدم لتوه من الملجأ والذي يمشي باكتئاب باتجاه الفناء بينهما) وهاك رجل نزيه!

- شيرلي: نعم، لكن ما الذي استفدته من هذا؟ (يعبر بمرارة ويجلس على المقعد في زاوية العلية. يخرج سنوبي برايس وهو يبتسم بنفاق، وتخرج جيني هيل، وهي تحمل دفاً مليئاً بقطع نقدية نحاسية، من الملجأ، ويتجهان نحو الطبل، وتبدأ جيني بإحصاء النقود عليه).

- أندرشافت: (مجيباً شيرلي) لا بد وأن موظفيك قد استفادوا كثيراً من هذا منذ البدء حتى النهاية. (يجلس على الطاولة ويضع إحدى قدميه على المقعد الجانبي، ويجلس كزنز مبهوراً على نفس المقعد أقرب إلى الملجأ. تقبل بربارة من الملجأ وتقف في وسط الفناء بحماس وبقليل من الإرهاق).

- بربارة: لقد عقدنا لتونا جلسة تدريبية ممتازة عند البوابة الأخرى لزقاق كريبيس. نادراً ما رأيتهم في حياتي متأثرين بشدة كما كانوا اليوم حين اعترفتَ بخطاياك يا سيد برايس.

- برايس: كنت سأفرح كثيراً بشروري الماضية لو كنت أؤمن بأنها ستساعد الآخرين على تقويم أنفسهم.

- بربارة: سوف تساعدهم يا سنوبي. كم بلغت القيمة يا جيني؟

- جيني: أربع جنيهات وعشرة بنسات أيتها الرائدة.

- بربـارة: آوه يـا سـنوبي. لـو كنـت رفـست أمـك المـسكينة رفـسة إضافية واحدة لكنا حصلنا على الخمس شلنات.

- برايس: لو سمِعَتك تقولين ذلك يا آنسة لكانت ستأسـف لأنـي لم أفعـل، لكـني سـعيد. أوه كـم سـتكون فرحتهـا كـبيرة حين تعلم أنه قد تم تخليصي!

- أندرشـافت: هـل لـي أن أتبرع بالبنـسين البـاقيين يـا بربـارة؟ إنـه مبلـغ صغير من المليونير، أليس كذلك؟ (يخرج بنسين من جيبه).

- بربارة: كيف كسبت هذين البنسين؟

- أندرشـــافت: كـالعــادة، مـــن بيـــع المـــدافع وألغــام الغواصـــات والغواصات والقنابل اليدوية التي حصلت على رخصتها حديثاً والتي هي المفضلة لدي.

- بربـارة: أعـدها إلى جيبـك. لا يمكنـك شـراء خلاصـك هنـا مقابـل بنسين. يجب أن تجتهد للوصول إليه.

- أندرشافت: هل البنسان غير كافيين؟ يمكنني دفع أكثر منهمـا بقليل إذا ألحيت عليّ.

- بربارة: مليوني مليون لـن يكونـا كـافيين، فيـداك ملطختـان بـدم فاسد، ولا شيء يمكن أن يطهرهمـا إلا الـدم الطـاهر. لا فائدة من المال. خذه بعيداً (تستدير نحو كزنـز) عليـك أن تكتـب لـي رسـالة أخـرى إلى الـصحف يـا دولـي (يرسـم

تعبيراً ساخراً على وجهه) أجل، أعلم أن هذا لا يروق لك، لكن يجب القيام به فالجوع الشديد يغالبنا هذا الشتاء، والجميع عاطلون عن العمل، وقائد الجيش يقول إنه سيكون علينا إغلاق هذا الملجأ إذا لم نحصل على مزيد من المال. أنا أفرض التبرعات أثناء الاجتماعات لحد أشعر معه بالخجل، أليس كذلك يا سنوبي؟

- برايس: إنها لمتعة حقيقية أن يراك المرء تقومين بهذا يا آنسة. إن الطريقة التي استطعت من خلالها رفع المبلغ من ثلاث جنيهات وست بنسات إلى أربع جنيهات وعشرة بنسات بإنشادك تلك الترنيمة، جنيه بعد جنيه، وسطر بعد سطر، كانت بمثابة إنذار. ما كان يمكن لشخص رخيص في (مايل إندويست) أن يبلغ مقامك فيها.

- بربارة: نعم، لكني أتمنى لو كان بإمكاننا الاستغناء عنها. إن الأمر يصل بي إلى التفكير بالتبرع أكثر من التفكير بأرواح الناس، ثم ما الذي تشكله تلك القبعات المملوءة بالبنسات وأنصاف البنسات. نحتاج إلى الآلاف! و عشرات الآلاف! ومئات الآلاف! أريد أن أهدي الناس، لا أن أشحذ باستمرار من أجل الجيش بطريقة أموت ولا أشحذ بها من أجل نفسي.

- أندرشافت: (بسخرية بالغة) إن الإيثار الحقيقي يجعلنا قادرين على القيام بأي شيء يا عزيزتي.

- بربارة: (دون أن تساورها أية شكوك، وبينما تستدير مبتعدة لتأخذ النقود من فوق الطبل وتضعها في حقيبة النقود التي تحملها) أجل، أليس هذا صحيحاً؟

- (ينظر أندرشافت إلى كزنز بسخرية)

- كزنز: (مخاطباً أندرشافت جانباً) أيها الشيطان، يا ميكافيلي[٣]!

- بربارة: (تدمع عيناها بينما تغلق الحقيبة وتضعها في جيبها) كيف لنا أن نطعمهم؟ لا أستطيع التحدث بأمور الدين مع شخص يظهر جوع جسده في عينه (تنهار تماماً) هذا مريع.

- جيني: (وهي تركض نحوها) أيتها الرائد. يا عزيزتي—

- بربارة: (وهي تنهض) كلا، لا تحاولي مواساتي. سيكون الأمر على ما يرام. سوف نحصل على المال.

- أندرشافت: كيف؟

- جيني: بالصلاة من أجل أن يتحقق هذا طبعاً. تقول السيدة بينيس إنها صلت لأجل ذلك الليلة الماضية، وهي لم تصلِّ مرة

---

(٣) اسم يطلق على من يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة. (المترجمة).

من أجل هذا وذهبت صلاتها سدىً. لم يحدث هذا مرةً

(تتجه نحو البوابة وتنظر للخارج نحو الشارع).

- بربارة: (بعد أن جففت دموعها واستعادت هدوءها) بالمناسبة يا أبي، لقد أتت السيدة بينيس لكي تمضي معنا إلى اجتماعنا الكبير ظهر اليوم، وهي متحمسة جداً للقائك لسبب أو لآخر. ربما ستقوم بهديك.

- أندرشافت: سيكون هذا من دواعي سروري يا عزيزتي.

- جيني: (باهتياج، وهي تقف عند البوابة) أيتها الرائد! أيتها الرائد! لقد عاد ذلك الرجل مرة أخرى.

- بربارة: أي رجل؟

- جيني: الرجل الذي ضربني. آه، أتمنى أن يكون قد عاد لينضم إلينا.

(يدخل بيل ووكر عبر البوابة. يوجد جليد على سترته، ويداه غارقتان في جيوبه، وذقنه غائرة بين كتفيه. يقف بين بربارة والطبل).

- بربارة: مرحباً يا بيل! عدت لتوك!

- بيل: (متذمراً منها) ما زلت تتكلمين منذ أن غادرت، أليس كذلك؟

- بربارة: تقريباً. حسناً، هل جعلك تودغار تدفع ثمن ما فعلته بفك جيني المسكينة؟

- بيل: لا، لم يفعل.

- بربارة: كنت أفكر بأن سترتك عليها بعض الثلج.

- بيل: إنها كذلك. عليها بعض الثلج. تريدين أن تعرفي من أين أتى الثلج، أليس كذلك؟

- بربارة: أجل.

- بيل: قد انبثق من أرض (باركينسز كورنر) في بلدة (كينين). وقد كشطه كتفاي. أترين؟

- بربارة: من المؤسف أنك لم تكشط بعضاً منه بركبتيك يا بيل! كان هذا سيعود عليك بفائدة كبيرة.

- بيل: (بمزاح مرير لا بهجة فيه) كنت أحمي ركبتي رجل آخر في ذلك الحين. لقد كان جاثياً فوق رأسي، كان كذلك فعلاً.

- جيني: من كان جاثياً فوق رأسك؟

- بيل: إنه تودغار. كان يصلي من أجلي. كان يصلي بارتياح فوقي متخذاً مني سجادة، وكذلك فعلت موغ. هكذا كان اللقاء اللعين. كانت موغ تقول: "يارب حطم روحه العنيدة، لكن لا تؤذ قلبه الحبيب" ذاك ما كانت تقوله: "لا تؤذ قلبه الحبيب" وزوجها— والذي يزن مئة وأربعة وثلاثين ـ كان جاثياً بكل ثقله فوقي. هذا مضحك، أليس كذلك؟

- جيني: أوه، لا. نحن آسفون جداً لأجلك يا سيد ووكر.

- بربارة: (مستمتعة بهذا صراحة) هذا هراء. طبعاً هذا مضحك! لقد لقنك ما تستحقه يا بيل! لا بد وأنك فعلت شيئاً ما له أولاً.

- بيل: (بعناد) لقد فعلت ما قلت إني سأفعله. بصقت في عينه فنظر إلى السماء وقال: "لا بد أنه قد تبين أني أستحق أن يبصق علي في سبيل الإنجيل".

- قال هو وقالت موغ: "أيها الرب العظيم" ومن ثم أخذ يناديني "أخي"، وأركعني كما لو كنت طفلاً، وكان هو وكأنه أمي وهي تغسلني ليلة السبت. لم أقم بأي استعراض معه على الإطلاق. كان نصف الشارع يصلي، والنصف الآخر كانوا يضحكون حتى كادوا ينفجرون. (مخاطباً بربارة) أنتِ! هل أنت راضية الآن؟

- بربارة: (وعيناها تتراقصان) أتمنى لو أنني كنت هناك يا بيل.

- بيل: نعم، لكانت لك الفرصة لأن تتحدثي عني أكثر مما فعلت بقليل. أليس كذلك؟

- جيني: أنا آسفة جداً يا سيد ووكر.

- بيل: (بشراسة) لا تتابعي أسفك لأجلي، فلا علاقة لك. اسمعي: لقد قمت بتهشيم فكك.

- جيني: لا، إن هذا لم يؤلمني. فعلاً لم يؤلمني إلا للحظة. كل ما في الأمر هو أني شعرت بالرعب.

- بيل: لا أريد منك ولا من أي أحد آخر بأن يسامحني. ما فعلته سأنال جزائي عليه. لقد حاولت أن أتسبب بتحطيم فكي لأرضيك —

- جيني: (منزعجة) أوه، لا—

- بيل: (وقد نفذ صبره) أقول لك إني فعلت ذلك. ألا يمكنك الإصغاء لما يقال لك؟ كل ما جرى لي شهده كل من كان في الشارع العام مقابل ما فعلته. حسناً. إذا لم أستطع إرضاءك بإحدى الطرق فسأتمكن من ذلك بطريقة أخرى. اسمعي، لقد أنقذت شخصين من الجليد، وما زال معي جنيه مما كسبته لقاء ذلك. لقد تشاجر أحد أصدقائي مع الفتاة التي سيتزوج بها الأسبوع الماضي، وفعل معها ما فعله، وتم تغريمه على ما فعل بخمس عشرة قطعة نقدية. لقد كان له الحق بأن يفعل ما فعله لأنهما سيتزوجان، لكني لم يكن يحق لي بأن أفعل هذا معك، لذا، أضيفي خمسة قطع أخرى، واعتبري قيمة ذلك تساوي جنيهاً (يقدم جنيهاً ملكياً) هذه هي النقود. خذيها ودعينا ننتهي من صفحك وصلواتك وتشدق رائدك معي، ولنعتبر أن ما فعلته قد انقضى ودفع ثمنه ولنضع حداً لهذا الموضوع.

- جيني: وه، لا يمكنني أخذه يا سيد ووكر، لكن، ليتك تعطي رمي ميتشنز شلناً أو اثنين فقد آذيتها بحق، وهي متقدمة في السن.

- بيل: (باحتقار) هذا غير وارد، ثم إني سأضربها ضربة أخرى حالما أراها. دعيها تنتقم مني كما كانت تهدد! إنها لن تصفح عني. هذا احتمال بعيد. ثم إن ما فعلته لها لم يكن بقصدي ــ لم يكن (يشير إلى بربارة) مما يمكن أن تسميه ما يمليه علي ضميري ــ كنت بعيداً عن هذا كبعدي عن وخز خنزير. إن لعبتكم المسيحية تلك هي التي لا أنوي أن ألعبها على نفسي. ذلك التسامح والشكوى والتشدق اللعين الذي يجعل الإنسان متألماً لدرجة أن الضحك حتى يغدو عبئاً عليه. أقول لك: لن أقبل بها فخذي أموالك ولا تريني وجهك السخيف المهشم ثانية.

- جيني: هل لي أن آخذ القليل منها وأعطيه للجيش أيتها الرائد؟

- بربارة: لا، فالجيش ليس للبيع. نحن نريد روحك يا بيل، ولن نأخذ شيئاً غير ذلك.

- بيل: (بمرارة) أعلم أن المبلغ ليس كافياً. أنا وشلناتي القليلة لسنا كافيين بالنسبة لك فأنت حفيدة إيرل، إنك كذلك، ولا يكفيكي أقل من مئة جنيه.

- أندرشافت: تعالَي يا بربارة! يمكنك القيام بالكثير من الأعمال الخيرة بمئة جنيه. إذا أرحت بال هذا السيد بأخذ الجنيه منه فسأدفع التسعة والتسعين الباقية (يلمس بيل قبعته غريزياً مبهوراً بهذا الغنى).

- بربارة: أوه، إنك مبذر جداً يا أبي. إن بيل يدفع عشرين قطعة فضية، وكل ما عليك دفعه هو العشرة الباقية. هذا سيشكل السعر المثالي لشراء أي شخص معروض للبيع، لكني لست ذلك الشخص، والجيش كذلك (مخاطبة بيل) لن تنعم مطلقاً بلحظة سكينة أخرى حتى تعود إلينا يا بيل. لا يمكنك الصمود في وجه هدايتك.

- بيل: (بتهجم) لا أستطيع الصمود في وجه مصارعي القاعات الموسيقية، والنساء ذوات الألسنة الجارحة. لقد عرضت أن أدفع وليس بمقدوري أن أفعل أكثر من ذلك. خذي النقود أو اتركيها. تلك هي (يرمي الجنيه الذهبي على الطبل، ويجلس على حوض سقاية الخيل. تفتن قطعة النقود سنوبي برايس الذي يغتنم أول فرصة ويرمي قبعته فوقها. تخرج السيدة بينيس من الملجأ مرتدية لباس مفوضة في جيش الخلاص الروحي. إنها امرأة تبدو عليها الجدية، عمرها يقارب الأربعين، صوتها ذو نبرة إلحاحية ملاطفة، وسلوكها جذاب).

- بربارة: هذا هو أبي يا سيدة بينيس (يقبل أندرشافت من مكانه على الطاولة، وينزع قبعته بكياسة فائقة) جربي ما يمكنك فعله معه. إنه لن يستمع إلي فهو يذكر كم كنت حمقاء حين كنت طفلة (تتركهما معاً وتثرثر مع جيني).

- السيدة بينيس: هل تم إطلاعك على الملجأ يا سيد أندرشافت؟ أنت تعلم ما الذي نقوم به طبعاً.

- أندرشافت: (بلباقة بالغة) الأمة كلها تعلم بذلك يا سيدة بينيس.

- السيدة بينيس: لا يا سيدي، الأمة كلها لا تعلم بذلك، وإلا لما أصابنا العجز كما هو حالنا الآن نتيجةً لنقص المال الذي يمكّننا من إنجاز عملنا على طول الأرض وعرضها. دعني أخبرك بأن الشغب كان سيعم لندن هذا الشتاء لولانا.

- أندرشافت: هل تظنين ذلك حقاً؟

- السيدة بينيس: إني أدرك هذا. أذكر ما جرى في عام ألف وثماني مئة وستة وثمانين حين أقسوتم قلوبكم أنتم أيها الأغنياء في وجه صرخات الفقراء. لقد كسّروا زجاج نوافذ أنديتكم في بول مول.

- أندرشافت: (بإشراقة رضى عن سلوكهم) وارتفع رأس مال مانسن هاوس في اليوم التالي من ثلاثين ألف جنيه حتى تسعة وسبعين ألفاً. أذكر هذا تماماً.

- السيدة بينيس: حسناً، ألن تساعدني في الوصول إلى قلوب الناس؟ لن يقدموا على تكسير زجاج النوافذ حينها. تعال إلى هنا يا برايس. دعني أعرضك على هذا السيد.

(يقبل برايس كي يتم تفحصه) هل تذكر تكسير زجاج النوافذ؟

- برايس: لقد ظن أبي العجوز أنها كانت الثورة يا سيدتي.

- السيدة بينيس: هل يمكنك أن تقدم على كسر زجاج النوافذ الآن؟

- برايس: أوه، لا يا سيدتي فقد فتحت لي شرفات الجنة. لقد عرفت الآن أن الغنى أثّام مثلي.

- رمي: (تظهر فوق باب العلية) يا سنوبي برايس!

- سنوبي: ما الأمر؟

- رمي: والدتك تسأل عنك عند البوابة الأخرى في زقاق كريبسيز. لقد سمعت عن اعترافك بخطاياك (يشحب لون برايس).

- السيدة بينيس: اذهب يا سيد برايس وصلِّ معها.

- جيني: يمكن الذهاب عبر الملجأ يا سنوبي.

- برايس: (مخاطباً السيدة بينيس) لست قادراً على مواجهتها الآن يا سيدتي فعبء ذنوبي الذي شعرت به حديثاً يثقل بأكمله على كاهلي. أخبريها بأنها ستجد ابنها في البيت منتظراً إياها

وهو يصلي. (يتسلل عبر البوابة، و يسرق في طريقه الجنيه الذهبي تلقائياً وهو يتناول رداءه من فوق الطبل).

- السيدة بينيس: (وقد اغرورقت عيناها بالدمع) شاهد كيف ننتزع من قلوبهم الغضب والمرارة التي يحملونها ضدكم يا سيد أندرشافت.

- أندرشافت: هذا بالتأكيد أقصى ما يلائم ويرضي كافة أصحاب الأعمال الكبار يا سيدة بينيس.

- السيدة بينيس: بربارة، جيني، لدي أخبار جيدة. لدي أخبار في غاية الروعة (تركض جيني نحوها) لقد استجيبت صلواتي. أخبرتك بأنها ستستجاب يا جيني. أليس كذلك؟

- جيني: أجل، أجل.

- بربارة: (وهي تقترب من الطبل) هل حصلنا على ما يكفي من المال لإبقاء الملجأ مفتوحاً؟

- السيدة بينيس: آمل أن نحصل على النقود التي تكفينا لإبقاء كل الملاجئ مفتوحة. لقد وعد اللورد ساكسمند هام بأن يتبرع لنا بخمسة آلاف جنيه —

- بربارة: يا للهول!

- جيني: يا للعظمة!

- السيدة بينيس: ـ في حال ـ

- بربارة: "في حال"! في حال ماذا؟

- السيدة بينيس: في حال قدم خمسة أسياد آخرين ألفاً كلٌ منهم لرفع المبلغ إلى عشرة آلاف.

- بربارة: من يكون اللورد ساكسمند هام؟ لم أسمع به من قبل.

- أندرشافت: (والذي استنفر أذنيه عند سماعه باسم نظيره وهو يراقب بربارة بفضول في هذا الحين) إنه اختراع جديد يا عزيزتي. هل سمعت بالسير هوريس بودغار؟

- بربارة: بودغار؟ هل تعني ذاك الذي يعمل بالتقطير؟ صاحب منشأة بودغار للوسكي؟

- أندرشافت: ذاك هو. إنه أحد أعظم متبرعينا للعامة. لقد عمل على تجديد الكنيسة المركزية في هاكينغتون، ومنحوه لقب بارون لأجل هذا. لقد أضاف نصف مليون لرؤوس أموال جماعته، وقد جعلوا منه باروناً لذلك السبب.

- شيرلي: وما الذي سيمنحونه إياه مقابل الخمسة آلاف؟

- أندرشافت: لم يبق هنالك شيء يمنحونه له، لذلك، أظن أن الهدف وراء الخمسة آلاف هو تخليص روحه.

- السيدة بينيس: آمل أن تستجيب السماء لهذا! أوه يا سيد أندرشافت، لديك بعض الأصدقاء البالغي الثراء. هل لك

أن تساعدني كي نحصّل الخمسة آلاف الباقية؟ سنعقد اجتماعاً كبيراً ظهر هذا اليوم في قاعة الجمعية التشريعية في مايل إند رود. لو أستطيع فقط أن أعلن أن أحد النبلاء قد تقدم ليدعم اللورد ساكسمندهام لتبعه الآخرون. ألا تعرف أحداً يمكن أن يفعل ذلك؟ ألا تستطيع أنت القيام بذلك؟ هل لك أن تقوم بذلك؟

(تمتلئ عيناها بالدموع) أوه، فكّر بأولئك الفقراء يا سيد أندرشافت. فكّر كم يشكل هذا شيئاً ضخماً بالنسبة لهم، وكم هو قليل بالنسبة لشخص عظيم مثلك.

- أندرشافت: (بشهامة تهكمية) أنت لا تقاوَمين يا سيدة بينيس. لا يمكنني أن أخذلك، ولا أستطيع أن أنكر على نفسي الرضى الذي سأشعر به بجعل بودغار يدفع المزيد. ستنالين الخمسة آلاف جنيه.

- السيدة بينيس: حمداً للّه.

- أندرشافت: ألا تحمدينني أنا؟

- السيدة بينيس: لا تحاول السخرية يا سيدي. لا تخجل من أن تكون رجلاً صالحاً. إن اللّه سيدرّ عليك بركاته، وستكون صلواتنا بمثابة الحصن المنيع حولك طيلة أيام حياتك (بشيء من الاحتياطية) ستدعني أحصل على الصك كي أعرضه

في الاجتماع، أليس كذلك؟ ادخلي وأحضري قلماً وحبراً يا جيني (تركض جيني نحو باب الملجأ).

- أندرشافت: لا تزعجي الآنسة هيل، فلدي قلم حبر (تتوقف جيني. يجلس إلى الطاولة ويكتب الصك. ينهض كزنز كي يؤمّن لهم مكاناً أوسع. يراقبه الجميع بصمت).

- بيل: (يتحدث إلى بربارة بسخرية جانباً بصوتٍ ولكنةٍ يتسمان بالحقارة لدرجة فظيعة) هذا هو ثمن جيش الخلاص الروحي أليس كذلك؟

- بربارة: توقف (يتوقف أندرشافت عن الكتابة ويستدير الجميعٍ نحوها باستغراب) هل حقاً ستأخذين هذه النقود يا سيدة بينيس؟

- السيدة بينيس: (بدهشة) ولم لا يا عزيزتي؟

- بربارة: لم لا؟ هل تعرفين ماذا يعمل والدي؟ وهل نسيت أن اللورد ساكسمندهام هو بودغار منتج الوسكي؟ هل تتذكرين كم توسلنا إلى مجلس المدينة كي يوقفه عن الترويج لـ (بودغار وسكي) ـ بكتابة ذلك الاسم بأحرف من نار على صفحة السماء ــ والذي بلغ حداً لم تعد تستطيع معه الخلائق المسكينة التي دمرها السُكْر على ضفتي نهر الوسكي أن تنهض من غفواتها القصيرة دون أن يتم تذكيرها بعطشها القاتل من خلال ذلك الرمز

السماوي الخبيث؟ هل تعلمين أن أسوأ شيء وجبت علي محاربته هنا هو ليس الشيطان بل بودغار، بودغار، بودغار، والوسكي الذي ينتجه، ومنشآت تقطيره، ودوره التي يتعهدها. هل ستجعلين من ملجئنا داراً أخرى يتم تعهدها من قبله، وتطلبين مني إدارته؟

- بيل: هو أيضاً مدمن نتن على الوسكي.

- السيدة بينيس: إن لدى اللورد ساكسمندهام روح يجب تخليصها مثل أيّ منا يا عزيزتي بربارة، وإذا كانت السماء قد وجدت الطريقة التي يمكن من خلالها الاستفادة من أمواله بشكل حسن فهل يجدر بنا أن نقف في وجه استجابتها لصلواتنا؟

- بربارة: أعلم أن لديه روحاً يجب تخليصها. دعيه يأتي إلى هنا، وسأبذل قصارى جهدي في مساعدته لنيل خلاصه، لكنه يريد أن يرسل صكه إلى هنا كي يشترينا ويظل شريراً كما كان دائماً.

- أندرشافت: (بعقلانية يلاحظ كزنز وحده أنها تهكمية) إن الكحول مادة ضرورية جداً يا عزيزتي بربارة، فهو يشفي المرضى —

- بربارة: إنه لا يفعل شيئاً من هذا القبيل.

- أندرشافت: حسناً، إنه يساعد الطبيب في ذلك. تلك ربما طريقة أقل إثارة للجدل للتعبير عن الفكرة. إنه يجعل من الحياة شيئاً يمكن تحمله بالنسبة لملايين البشر الذين ما كان لهم أن يحتملوا وجودهم لو أنهم كانوا عقلاء تماماً. إنه يمكّن أعضاء البرلمان في الساعة الحادية عشرة ليلاً من القيام بأشياء لا يمكن أن يقدم شخص عاقل على القيام بها في الحادية عشرة صباحاً. هل يقع الذنب على بودغار في أن هذه النعمة التي لا تقدر بثمن يساء استخدامها بشكل يدعو للأسى على يد ما يقل عن واحد بالمئة من الفقراء؟ (يعود ثانية إلى الطاولة، ويوقع الصك، ويجهزه للصرف).

- السيدة بينيس: برأيك يا بربارة، هل سينخفض معدل الشرب أم سيرتفع إذا قدمت هذه الأرواح المسكينة التي نعمل على تخليصها غداً ووجدت أبواب ملاجئنا مغلقة في وجوههم؟ إن اللورد ساكسمندهام يقدم لنا المال كي نوقف الشرب ـ لكي نسلبه عمله الخاص.

- كزنز: (بشيطانية) إنها لتضحية خالصة بالنفس من جانب بودغار. هذا واضح! بوركت يا بودغار العزيز! (تنهار بربارة تماماً لأن أدولفوس أيضاً قد خذلها).

- أندرشافت: (يَقْطع الصك، ويضع دفتر الشيكات في جيبه بينما

ينهض ويتجاوز كزنز حتى يصل إلى السيدة بينيس).أنا أيضاً يحق لي بأن أدعي أن لدي القليل من النزاهة يا سيدة بينيس. فكري بعملي! فكري بالأرامل والأيتام! وبالرجال والفتيان الذين يتم تمزيقهم إرباً بفعل الشظايا، وتسميمهم بتأثير متفجر الليديت! (تنفر السيدة بينيس، لكنه يتابع دون أن ينتابه أي شعور بعذاب الضمير) وبمحيطات الدم التي لا تراق قطرة منها في سبيل قضية عادلة بحق! وبالمحاصيل المنهوبة! وبالفلاحين الآمنين رجالاً ونساءً، والمجبرين على فلاحة حقولهم تحت نيران الجيوش المعادية اتقاءً لخطر الجوع! وبالدم الفاسد الذي يسري في عروق أولئك الجبناء التافهين المتوحشين الذين يجلسون في بيوتهم ويثيرون الآخرين كي يقاتلوا في سبيل إرضاء غطرستهم الوطنية! هذا كله يدر المال علي، وليس هنالك على الإطلاق وقت أكون فيه أكثر غنىً أو أكثر انشغالاً من الفترة التي تكون فيها الصحف مملوءة بهذه الأخبار. حسناً، إن عملكم هو أن تعظوا البشر بالسلام على الأرض، وبالمودة تجاه الآخرين (يشرق وجه السيدة بينيس ثانية) إن كل شخص تتمكنون من هدايته يشكل صوتاً ضد الحرب (تتحرك شفتاها إذ تصلي) ومع ذلك فإني أقدم لكم هذا المال كي

تساعدوا على تسريع انهياري التجاري (يسلمها الصك).

- كزنز: (وهو يصعد على المقعد بنشوة تحمل الإزعاج) سيتم افتتاح الاحتفال بالذكرى الألفية بالإعلان عن إيثار أندرشافت وبودغار. ابتهجوا! (يخرج نقارتي الطبل من جيبه ويومئ بهما).

- السيدة بينيس: (وهي تأخذ الصك) كلما عشت أكثر كلما ثبت لي أن هنالك طيبة لا حدود لها توجه كل شيء عاجلاً أم آجلاً لصالح العمل على تخليص الأرواح. من كان يخطر له أن أي خير كان يمكن أن يأتي من الحرب و المشروب؟ و مع ذلك يتم اليوم إلقاء فوائدهما عند قدمي الخلاص كي يقوم بعمله المقدس (تتأثر لحد البكاء).

- جيني: (وهي تركض نحو السيدة بينيس، وتلقي بذراعيها حولها) آه يا عزيزتي! كم هو مبارك وكم هو عظيم هذا الأمر.

- كزنز: (باضطراب ساخر) دعونا نستغل هذه اللحظة التي لا يمكن وصفها. دعونا نتوجه إلى الاجتماع العظيم في الحال. عن إذنكم للحظة فقط (يندفع إلى الملجأ، وتتناول جيني دفها من على قمة الطبل).

- السيدة بينيس: هل سبق وأن رأيت ألف شخص يخرّون راكعين بدافع واحد، وفي صلاة واحدة يا سيد أندرشافت؟ تعال

معنا إلى الاجتماع، وستخبرهم بربارة بأن الجيش قد تم إنقاذه، وأن ذلك تم على يدك.

- كزنز: (يعود بطيش من الملجأ ومعه علم وآلة ترومبون ويقف بين السيدة بينيس وأندرشافت). ستحملين العلم أثناء مرورنا في الشارع الأول يا سيدة بينيس (يناولها العلم)، والسيد أندرشافت عازف ترومبن موهوب، لذا، سيعزف نغماً أولمبياً لمسيرة جيش الخلاص الروحي في ويست هام (يتحدث جانباً إلى اندرشافت بينما يجبره على أخذ الترومبون).انفخ يا ميكافيلي، انفخ.

- أندرشافت: (يتحدث جانباً إليه بينما يتناول الترومبون) البوق في بيت المقدس!

- (يندفع كزنز باتجاه الطبل ويرفعه ويعلقه برقبته. يتابع أندرشافت بصوت مرتفع) سأبذل قصارى جهدي. لو كنت أعرف النغم لأمكنني أن أبدع بالعزف على أكبر طبل.

- كزنز: هذه أغنية خاصة بالزفاف تنشدها جوقة، وقد تم اقتباسها من إحدى مسرحيات دونيزيتي الغنائية، لكننا قمنا بهديها. نحن هنا نهدي كل الأشياء إلى الخير بما فيها بودغار. هل تذكر أغنية الجوقة؟

- "تمنياتي لكم بالبهجة العظيمة ــ وبالمرح العارم ــ

وبالمرح العارم" (بلحن مرافق على الطبل) رم تم تي تم تم
تم تم تي تا ــ

- بربارة: إنك تجعلني أشعر بالأسى يا دولي.

- كزنز: ماذا يزيد أو ينقص قلب يشعر بالأسى هنا؟ لقد انحدر ديونيسوس أندرشافت بقدره، وأنا مفتون بهذا.

- السيدة بينيس: تعالي يا بربارة. يجب أن تحمل عزيزتي الرائد الراية معي.

- جيني: أجل، أجل أيتها الرائد الحبيبة.

- كزنز: (يخطف الدف من يد جيني ويناوله بصمت إلى بربارة).

- بربارة: (تتقدم قليلاً وهي تدير ظهرها للعرض بحركة تشنجية، بينما يقذف كزنز الدف بلا مبالاة إلى جيني في الخلف ويتجه نحو البوابة) لا أستطيع المجيء.

- جيني: لن تأتي!

- السيدة بينيس: (وقد اغرورقت عيناها بالدمع) هل تعتقدين أني أخطأت بأخذي النقود يا بربارة؟

- بربارة: (تتجه نحوها بعفوية وتقبلها) لا، كان الله في عونك يا عزيزتي. إن عليك فعل ذلك، فأنت تنقذين الجيش. اذهبي وتمنياتي لك بأن يكون اجتماعك رائعاً!

- جيني: لكن، ألست قادمة؟

- بربارة: لا (تبدأ بنزع دبوس الزينة الفضي الذي له شكل حرف S من ياقتها).

- السيدة بينيس: ما الذي تفعلينه يا بربارة؟

- جيني: لماذا تنزعين علامتك المميزة؟ لا يمكنك أن تتركينا أيتها الرائد.

- بربارة: (بهدوء) أبي، تعال إلى هنا.

- أندرشافت: (قادماً نحوها) نعم يا عزيزتي. (حالما يدرك أنها ستثبّت الشعار على ياقته يتراجع باتجاه العلية بشيء من الفزع).

- بربارة: (تابعة إياه) لا تفزع. (تثبت له الدبوس على الدرجات في الخلف أمام الطاولة، وتعرضه على الآخرين) انظروا! إنه لا يمثل الكثير مقابل خمسة آلاف جنيه، أليس كذلك؟

- السيدة بينيس: إذا لم تأت وتصلي معنا فعديني بأنك ستصلين من أجلنا يا بربارة.

- بربارة: لا أستطيع أن أصلي الآن، وربما لن أصلي مطلقاً بعد الآن.

- السيدة بينيس: ماذا يا بربارة!

- جيني: ماذا أيتها الرائد!

- بربارة: (بهياج تام) لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر. تقدموا بسرعة!

- كزنز: (مخاطباً الموكب في الشارع خارجاً) نحن خارجون! أنتم، اعزفوا بصوت عالٍ نغمة "السرور العارم" (يحدد التوقيت من خلال طبله، وتعزف الفرقة الموسيقية اللحن العسكري الذي يبتعد صوته بشكل متسارع بينما يتحرك الموكب بنشاط مبتعداً).

- السيدة بينيس: علي الذهاب يا عزيزتي. أنت منهكة، لكنك ستكونين على ما يرام غداً. لن نقبل أبداً بأن نفقدك. والآن يا جيني، احملي العلم القديم واخرجي. الدم والنار! (تخرج عبر البوابة بمشية عسكرية والعلم معها).

- جيني: حمداً لله! (ترفع الدف وتمشي مشية عسكرية).

- أندرشافت: (مخاطباً كزنز حين يتجاوزه أثناء مسيره العسكري وهو يرخي مزلاج الترومبون) "نقودي وابنتي!"

- كزنز: (تابعاً إياه للخارج) المال والبارود!

- بربارة: السّكْر والقتل! يا إلهي، لماذا تخليت عني؟

(تطرح نفسها على المقعد وقد غمرت وجهها بيديها. يبتعد الموكب حتى يختفي صوته. يتسلل بيل ووكر إلى أن يصل إليها).

- بيل: (بسخرية) ما هو ثمن جيش الخلاص الروحي الآن؟

- شيرلي: لا تضربها وهي حزينة.

- بيل: لقد ضربتني حين كنت حزيناً، فلم لا أنتقم لنفسي قليلاً؟

- بربارة: (وهي ترفع رأسها) أنا لم آخذ نقودك يا بيل. (تعبر الفناء وتصل إلى البوابة، وتدير ظهرها للرجلين كي تخفي وجهها عنهما).

- بيل: (ساخراً منها بعد أن مضت) لم يكن المبلغ كافياً بالنسبة لك. (يعود إلى حيث يوجد الطبل فلا يجد النقود) أنت! إذا لم تكوني قد أخذت النقود، فقد قام شخص آخر بأخذها. أين ذهبت؟ ألق اللوم علي إن لم تكن جيني هيل قد أخذتها في نهاية المطاف.

- رمي: (تصيح عليه من الأعلى) أنت تكذب يا بذيء اللسان القذر! لقد سرقها سنوبي برايس من فو ق الطبل حين رفع رداءه. لقد كنت هنا في الأعلى طيلة الوقت، ورأيته يفعل ذلك.

- بيل: ماذا! سرق نقودي! كيف تصفينه بالسارق أيتها العجوز التافهة التي تحاول تشويه سمعة الآخرين؟

- رمي: فعل ذلك كي يكفّر عن ضربك لي على وجهي. لقد كلفك ذلك جنيهاً. هذا ما في الأمر. (تنشد أنشودة شكر يشوبها شعور قذر بالنصر) لقد تمكنت منك، وأنا عادلة معك، فقد انتقمت لما فعلته بي ـ

(يخطف بيل إبريق شيرلي ويرميه بعنف نحوها فتغلق الباب العلوي بقوة وتختفي. يتحطم الإبريق عند ارتطامه بالباب، ويسقط على شكل شظايا).

- بيل: (وقد بدأ بالضحك بصوت خافت) أخبرنا أيها العجوز في أية ساعة من هذا الصباح تم تخليص ذاك الذي تدعونه سنوبي برايس؟

- بربارة: (وهي تستدير نحوه بهدوء أكبر وبعذوبة لا تشوبها شائبة) حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف يا بيل، وقد سرق جنيهك في الثانية إلا ربعاً. أنا أدرك الأمر. حسناً، ليس بمقدورك التعويض عن خسارتك له. سأرسله لك.

- بيل: (فجأة يتحسن صوته ولكنته) لن أقبل بهذا حتى ولو مت جوعاً في سبيله فأنا لا أقبل بأن يتم شرائي.

- شيرلي: لا تقبل بذلك؟ إنك يمكن أن تبيع نفسك للشيطان مقابل القليل من البيرة. المشكلة فقط هي أنه لا يوجد شيطان يقدم العرض.

- بيل: (بلا حياء) سأفعل هذا يا صاحبي، وقد فعلت هذا بسرور دائماً، لكنها لا تستطيع شرائي (يقترب من بربارة) كنت تريدين روحي، أليس كذلك؟ حسناً، لن تحصلي عليها.

- بربارة: لقد حصلت عليها تقريباً يا بيل، لكننا عدنا وبعناها لك مقابل عشرة آلاف جنيه.

- شيرلي: وقد بيعت بسعر غالٍ.

- بربارة: لا يا بيتر. لقد كانت قيمتها أثمن من النقود.

- بيل: (مؤكداً صلاحه) هذا لن يجدي. لن تستطيعي خداعي الآن فأنا لا أؤمن بهذا الكلام، وقد تبين لي اليوم أني كنت على حق. (يمضي) إلى اللقاء يا صاحبة مطعم الفقراء. تا، تا، أيتها الرائد، يا حفيدة الإيرل! (يستدير عند البوابة) ما هو سعر جيش الخلاص الروحي في الوقت الحاضر؟ إنه يعادل قيمة سنوبي برايس! ها! ها!

- بربارة: (تمد يدها) وداعاً يا بيل.

- بيل: (يشرَع في رفع قبعته متفاجئاً، ومن ثم يعيدها بتحدٍ) سأخرج (تنزل بربارة يدها بوهن، فيشعر بوخزة ضمير) لكن الأمور على ما يرام كما تعلمين فأنا لا أحمل عداءً شخصياً تجاهك، ولست حاقداً. إلى اللقاء يا فتاتي (يمضي).

- بربارة: وأنا لست حاقدة عليك. إلى اللقاء يا بيل.

- شيرلي: (وهو يهز رأسه) أنت تعطينه أكبر من حجمه نتيجة لبراءتك يا آنسة.

- بربارة: (وهي تتجه نحوه) أنا مثلك الآن يا بيتر. طهّرت نفسي وفقدت عملي.

- شيرلي: لديك الشباب والأمل، وأنت بهما تتفوقين علي.

- بربارة: سأجد لك عملاً يا بيتر، وسيكون ذلك بمثابة الأمل بالنسبة لك، وسيتوجب علي أنا أن أكتفي بالشباب (تحصي نقودها) لقد تبقى لدي فقط ما يكفي لشرب كأسين من الشاي في لوكهارتس، ولاستئجار سرير لك في نزل راوتون، ولدفع أجرة الشاحنة والحافلة اللتين ستقلاني إلى البيت (يعبس وينهض بكبرياء مجروح فتمسك بذارعه) لا تكن مغروراً يا بيتر فهذه مشاركة بين الأصدقاء وعدني بأنك ستتكلم معي، وأنك لن تجعلني أبكي (تسحبه باتجاه البوابة).

- شيرلي: حسناً، أنا لست معتاداً على الحديث مع أمثالك ـ

- بربارة: (بإلحاح) بلى، بلى، يجب أن تتحدث إلي. حدثني عن كتب توم بايني، ومحاضرات برادلالف. هيا أسرع.

- شيرلي: أه، لو أنك فقط تقرئين أعمال توم بايني بالشكل الصحيح يا آنسة! (يخرجان معاً عبر البوابة).

• ❖ ❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

في اليوم التالي بعد الغداء، السيدة بريتومارت تكتب في المكتبة في ويلتون كريسنت، وسارة تقرأ وهي جالسة على الكرسي ذي الذراعين قرب النافذة، وبربارة، والتي ترتدي ملابس عادية، تجلس على الأريكة

شاحبة وغارقة في التفكير. يدخل تشارلز لوماكس، ويتوقف أثناء مروره بين الأريكة وطاولة الكتابة إذ يرى بربارة ترتدي ملابس من الطراز الحديث وتبدو عليها الكآبة.

- لوماكس: هل أقلعت عن ارتداء بدلتك؟

(لا تتفوه بربارة بشيء، لكن تعبيراً من الألم يعبر وجهها).

- السيدة بريتومارت: (تنذره بصوت منخفض كي يكون حذراً) تشارلز!

- لوماكس: (يجلس بتعاطف، وهو قلق أكثر من قبل، على الأريكة بجانب بربارة) أنا آسف لأقصى درجة يا بربارة. تعلمين أني ساعدتك قدر ما استطعت من خلال آلة الأوكورديون وما شابه. (باهتمام كبير) ورغم ذلك فإني لم أغفل مطلقاً عن حقيقة أن هنالك قدراً كبيراً من الهراء يدور حول جيش الخلاص الروحي. مرة تأتي ادعاءات كنيسة إنكلترا ـ

- السيدة بريتومارت: هذا يكفي يا تشارلز. تحدث عن شيء يتناسب وإمكاناتك العقلية.

- لوماكس: لكن كنيسة إنكلترا تتناسب فعلاً مع إمكاناتنا جميعاً

- بربارة: (وهي تشد على يده) أشكرك لتعاطفك يا تشولي. والآن! اذهب وغازل سارة.

- لوماكس: (ينهض ويتجه نحو سارة) كيف حال حبيبتي اليوم؟

- سارة: آمل ألا تملي على تشولي ما يفعله من أمور يا بربارة فهو يأتي مباشرة دوماً ويقوم بها. إننا ذاهبون إلى المصنع في (بيريفيل سانت آندروز) بعد ظهر اليوم يا تشولي.

- لوماكس: أي مصنع؟

- سارة: مصنع المدافع.

- لوماكس: ماذا! متجر وليّكم؟

- سارة: أجل.

- لوماكس: أوه، يا للهول!

(يدخل كزنز بحال بائسة. يحدق هو الآخر بشكل ظاهر حين يلاحظ أن بربارة لا ترتدي بذلتها).

- بربارة: توقعت مجيئك هذا الصباح يا دولي. ألم تكن تتوقع هذا؟

- كزنز: (وهو يجلس بجانبها) أنا آسف. لقد تناولت الفطور لتوي.

- سارة: لكننا قد فرغنا لتونا من تناول غدائنا.

- بربارة: هل قضيت ليلة من لياليك السيئة؟

- كزنز: لا، بل إني قضيت ليلة سعيدة. في الواقع، لقد كانت واحدة من أهم الليالي التي قضيتها في حياتي.

- بربارة: تقصد الاجتماع؟

- كزنز: لا ، أقصد ما بعد الاجتماع.

- السيدة بريتومارت: كان عليك الذهاب للنوم بعد الاجتماع. ما الذي كنت تفعله؟

- كزنز: كنت أشرب الكحول.

- السيدة بريتومارت: ماذا يا أدولفوس!

- سارة: ماذا يا دولي!

- بربارة: ماذا يا دولي!

- لوماكس: أوه، يا للهول!

- السيدة بريتومارت: هل لي أن أسأل أي نوع من الكحول كنت تشرب؟

- كزنز: أشد أنواع الخمر الأحمر الإسباني شيطانية. إنه يحمل رخصة تشير إلى كونه خالياً من الكحول المضاف. هو في الواقع خمر أحمر معتدل. إن غناه بالكحول الطبيعي جعل أية إضافة عليه غير ضرورية.

- بربارة: هل أنت تمزح يا دولي؟

- كزنز: (بصمود) لا ، لقد كنت أقضي ليلة مميزة مع السيد الشكليّ لهذا البيت. هذا كل ما في الأمر.

- السيدة بريتومارت: هل جعلك آندرو تسكر؟

- كزنـز: لا ، هـو فقـط أحـضر الخمـر ، وأظـن أن ديونيـسوس هـو مـن جعلني ثملاً. (مخاطباً بربارة) أخبرتك أنه كان مسيطراً علي.

- الـسيدة بريتومـارت: أنـت لم تـستعد توازنـك حتـى الآن. اذهـب إلى بيتك واخلد للنوم في الحال.

- كزنز: إني لم أغامر بتوبيخك من قبل أبداً يا سيدة بريت، لكن كيف أقدمت على الزواج بأمير الظلام؟

- السيدة بريتومارت: إن الزواج به أمر يمكـن التغاضـي عنـه أكثـر بكثير من الـسكر معـه. ذلـك إنجـاز جديـد مـن إنجـازات آندرو، وبالمناسبة، فهو لم يكن معتاداً على الشرب.

- كـزنز: إنه غير معتاد على ذلك في الوقت الحاضر. كل ما فعلـه هـو أنـه جلـس هنـاك وأتم تـدمير قاعـدتي الأخلاقيـة، وتـشويش معتقـداتي، وشـراء روحـي. إنـه يهـتم لأمـرك يـا بربارة، وهذا ما يجعله خطيراً جداً بالنسبة لي.

- بربارة: ليس للأمر علاقة بهذا يا دولي فهنالك حب أكبر وأحـلام أكثر قدسيّةً تلك الخاصة بالحياة البيتيـة. أنـت تعلـم هـذا أليس كذلك؟

- كزنـز: أجـل، تلـك هـي الطريقـة الـتي نـدرك الأمـر مـن خلالهـا. أعرفها، وأنا متمسك بها. يمكـن أن يكـون مـصدر تسلية بالنسبة لي لبعض الوقت ما لم يتمكن من الفوز بي معتمداً

على ذلك الأساس الأكثر قدسية، لكنه لن يتمكن من الوصول إلى إدراكٍ أعمق وهو على هذا القدر من القوة.

- بربارة: تمسك بهذه الفكرة، و ستكون النهاية قويمة. والآن أخبرني ماذا جرى في الاجتماع؟

- كزنز: لقد كان اجتماعاً مذهلاً فقد كانت السيدة بينيس على وشك الموت لشدة احتدام مشاعرها، وجنّت جيني هيل تماماً بتأثير الهستريا، وعزف أمير الظلام على آلة الترومبون كالمجنون. كان هديرها الصارخ أشبه بضحكة من حلت عليهم اللعنة. تم هدي مئة وسبع عشرة شخصاً حينها في ذلك المكان، وقد صلوا بأقصى درجات الصدق والامتنان تأثيراً لأجل بودغار والمتبرع بالخمسة آلاف جنيه المجهول الهوية، فوالدك لم يقبل بأن يكشف عن اسمه.

- لوماكس: لقد كان هذا تصرفاً رائعاً جداً من جانب السيد العجوز، تعلمون هذا، فمعظم الشباب كانوا سيفعلون ذلك بقصد الدعاية.

- كزنز: لقد قال بأنه لو أعطى اسمه لكانت الجمعيات الخيرية كلها ستنقض عليه كما تنقض الطيور الجارحة على أرض المعركة.

- السيدة بريتومارت: هذا هو آندرو منذ بداية عهده. يستحيل أن يقدم على عمل سويّ دون أن يعطي سبباً غير سوي دفعه للقيام به.

- كزنز: لقد أقنعني بأني كنت طوال حياتي أقدم على فعل أشياء غير سوية لأسباب سوية.

- السيدة بريتومارت: بما أن بربارة الآن قد تركت جيش الخلاص الروحي، فمن الأفضل لك أن تتركه أنت أيضاً يا أدولفوس. لن أسمح لك بأن تقرع ذلك الطبل في الشوارع.

- كزنز: إن أوامرك قد نفذت لتوها يا سيدة بريت.

- بربارة: هل كنت جاداً حقاً من قبل فيما يتعلق بهذا الأمر يا دولي؟ هل كنت ستنضم إليه لو أنك لم ترني على الإطلاق؟

- كزنز: (دون مهارة) حسناً، م، م، ربما فعلت ذلك بصفتي جامعاً للأديان —

- لوماكس: (بمكر) لكن ليس كقارع طبول، مع أنك، كما تعلم، شاب شديد الذكاء والصفاء الذهني يا دولي، ولا بد وأنه كان واضحاً بالنسبة لك أن هناك قدراً كبيراً من الهراء يدور حول ـ

- السيدة بريتومارت: تشارلز: إذا كان لا بد لك من أن تتكلم كلاماً فارغاً، فلتفعل ذلك على طريقة شخص ناضج، وليس على طريقة طالب مدرسة.

- لوماكس: (فاقداً اتزانه) حسناً، الكلام الفارغ هو الكلام الفارغ، ألا تعلمين هذا، مهما كان عمر الإنسان.

- السيدة بريتومارت: في المجتمع الراقي في إنكلترا يا تشارلز يتكلم الناس كلاماً فارغاً في كل الأعمار من خلال تكرارهم لمصطلحات سخيفة بشيءٍ من الحكمة، لكن طلاب المدارس يخترعون مصطلحاتهم الخاصة اعتماداً على اللغة العامية كما تفعل أنت، وعندما يصلون إلى عمرك، ويستلمون أمانات سر سياسية خاصة وأشياء من هذا القبيل يتركون اللغة العامية ويأخذون مصطلحاتهم من صحيفة "السبكتيتار" أو صحيفة "التايمز". من الأفضل لك أن تقتصر على صحيفة "التايمز". ستجد أن هنالك قدراً كبيراً من الهراء يدور حول صحيفة "التايمز" لكن على الأقل فإن لغتها ذائعة الصيت.

- لوماكس: (مهزوماً) أنت مستقلة برأيك إلى أبعد حد يا سيدة بريت ـ

- السيدة بريتومارت: هذا هراء! (ادخل يا موريسون) ما الأمر؟

- موريسون: بعد إذنك يا سيدتي. لقد وصل السيد أندرشافت بسيارته إلى الباب للتو.

- السيدة بريتومارت: حسناً، دعه يدخل (يتردد موريسون) ما خطبك؟

- موريسون: هل علي أن أعلن عن قدومه يا سيدتي، أم أنه هنا، إذا أمكن القول، من أهل البيت يا سيدتي؟

- السيدة بريتومارت: أعلن عن قدومه.

- موريسون: شكراً لك يا سيدتي. أتمنى ألا أكون قد أزعجتك بسؤالي، لكن المناسبة هي بشكل ما جديدة علي.

- السيدة بريتومارت: إنك محق تماماً. اذهب ودعه يدخل.

- موريسون: شكراً لك يا سيدتي (ينسحب).

- السيدة بريتومارت: اذهبوا واستعدوا يا أولاد (تصعد سارة وبربارة إلى الطابق العلوي لارتداء أثوابهما المخصصة للخروج).

- تشارلز: اذهب وأخبر ستيفن بأن ينزل إلى هنا خلال خمسة دقائق. ستجده في غرفة الاستقبال (يذهب تشارلز).

- أدولفوس: أخبرهم بأن يعمّموا خبر وصول العربة خلال خمسة دقائق (يذهب أدولفوس).

- موريسون: (عند الباب) أهلاً بك يا سيد أندرشافت.

- (يدخل أندرشافت ويخرج موريسون).

- أندرشافت: أنت وحدك! كم أنا محظوظ!

- السيدة بريتومارت: لا تكن حسياً يا آندرو. اجلس (تجلس على الأريكة، ويجلس هو بجوارها إلى اليسار منها. تدخل في

الموضوع قبل أن يجد وقتاً ليلتقط نفَسَه) يجب أن تحصل سارة على ثمانمئة جنيه في السنة إلى أن يرث تشارلز لوماكس ثروته. بريارة ستحتاج لمبلغ أكبر، وستكون بحاجة إليه على الفور لأن أدولفوس لا يمتلك أية ثروة.

- أندرشافت: (بإذعان) نعم يا عزيزتي. سأتولى هذا الأمر. هل تحتاجين لشيء آخر؟ لنفسك على سبيل المثال؟

- السيدة بريتومارت: أود التحدث إليك بشأن ستيفن.

- أندرشافت: (بإنهاك تام) لا تفعلي ذلك ياعزيزتي فشأن ستيفن لا يهمني

- السيدة بريتومارت: لكنه يهمني كثيراً فهو ابننا.

- أندرشافت: هل تظنين ذلك حقاً؟ لقد عمل على إغوائنا كي نأتي به إلى العالم، لكنه اختار والديه بشكل غير متكافئ على الإطلاق كما أعتقد، فهو لا يشبهني في شيء، وكذلك الأمر بالنسبة لك.

- السيدة بريتومارت: ستيفن هو ابن ممتاز يا آندرو، وهو شاب من أكثر الشباب اتزاناً وجدارةً ونبلاً. أنت ببساطة تحاول أن تجد عذراً كي تحرمه من الميراث.

- أندرشافت: إن عرف عائلة أندرشافت يحرمه من الميراث وستكون قلة شرف مني إذا تركت مصنع صبِّ المدافع

لابني يا عزيزتي بيدي.

- السيدة بريتومارت: ستكون قمة الشذوذ والخطأ منك إذا تركته لأي شخص آخر يا آندرو. هل تظن أن هذا العرف الشرير واللاأخلاقي يمكن الإبقاء عليه للأبد؟ هل تزعم أن ستيفن لا يستطيع إدارة معمل الصب بمستوى براعة كافة أبناء الأُسَر الأخرى التي تعمل بالتجارة؟

- أندرشافت: أجل. قد يتعلم الروتين المكتبي دون أن يفهم الصنعة كما يفعل كل الأبناء الآخرين، وعندها فإن المنشأة ستستمر في عملها ضمن حدود طاقتها الخاصة إلى أن يأتي الأندرشافت الحقيقي ـ والذي قد يكون إيطالياً أو ألمانياً ـ ويخترع طريقة جديدة ويعزله.

- السيدة بريتومارت: ليس ثمة شيء يمكن أن يقوم به أي إيطالي أو ألماني لا يستطيع ستيفن القيام به، ثم إن ستيفن على الأقل قد تلقى تربية حسنة.

- أندرشافت: ابن لقيط تربى تربية حسنة! هذا هراء!

- السيدة بريتومارت: إنه ابني يا آندرو! وأنت حتى قد يكون ثمة دم خير يسري في عروقك، من يدري؟

- أندرشافت: هذا صحيح، ربما أكون كذلك، وتلك حجة إضافية لصالح اللقيط.

- السيدة بريتومارت: لا تكن استفزازياً يا آندرو، ولا تكن شريراً، ففي الوقت الحاضر، أنت تتسم بالأمرين.

- أندرشافت: هذه المحاورة هي جزء من العرف الخاص بعائلة أندرشافت يا بيدي، فكل زوجة من زوجات رجال عائلة أندرشافت قد تناولتها معه منذ أن تأسست الدار، وإنه لا يأتي منها إلا قطع الأنفاس. إذا كان للعرف أن يكسر في يوم من الأيام فسيكون ذلك من أجل رجل آخر أكثر كفاءة من ستيفن.

- السيدة بريتومارت: (بتهجم) إذاً، اخرج من هنا.

- أندرشافت: (باستنكار) أخرج من هنا!

- السيدة بريتومارت: أجل، اخرج من هنا. إذا كنت لا تنوي فعل شيء من أجل ستيفن فوجودك غير مرغوب به في هذا المكان. اذهب إلى لقيطك أياً كان، واعتن به.

- أندرشافت: الحقيقة يا بيدي هي أن ـ

- السيدة بريتومارت: لا تدعوني بيدي، فأنا لا أدعوك آندي.

- أندرشافت: لن أدعو زوجتي باسم بريتومارت فهذا ليس معقولاً. لقد وضعني عرف عائلة أندرشافت في مشكلة فعلاً يا حبيبتي. أنا أتقدم في العمر، وشريكي لازاروس على الأقل قد اتخذ موقفاً وأصر على أن الميراث يجب أن يتم

الاتفاق عليه بطريقة أو بأخرى، وهو بالطبع محق تماماً، وكما ترين، فإني لم أجد وريثاً مناسباً بعد.

- السيدة بريتومارت: (بعناد) لديك ستيفن.

- أندرشافت: تلك هي المشكلة، فكل اللقطاء الذين ألتقي بهم هم تماماً مثل ستيفن.

- السيدة بريتومارت: ماذا يا آندرو!؟

- أندرشافت: أريد رجلاً لا أقرباء له، ولم يتلق أي تعليم. هذا ما أريده؛ رجلاً خارجاً تماماً عن القوانين المعتادة، إن لم يكن رجلاً قوياً. وأنا لا أستطيع إيجاده، فكل لقيط مبارك في هذه الأيام يتم انتزاعه في طفولته من قبل دور (بارناردو) أو موظفي مجلس التعليم أو مجالس الأوصياء. وإذا ظهرت عليه أقل علائم الكفاءة، يتم توثيقه من قبل ناظري المدرسة، وتدريبه كي ينال المنح الدراسية مثل جواد السباق، ويتم حشوه بالأفكار المستعملة سابقاً، وتثقيفه، وإحكام ضبطه بشكل يغدو معه سهل الانقياد، ولكي يتمتع بما يدعونه بالذوق السليم، ويتم إقعاده ليصبح مؤهلاً للعيش، وبذلك يغدو غير صالح لشيء إلا التدريس. إن كنت تودين الإبقاء على معمل

الـصب بيـد العائلـة فمـن الأفـضل لـك أن تجـدي لقيطـاً مناسباً وتزوجيه لبربارة.

- السيدة بريتومارت: آه! لبربارة! طفلتك المدللة! إنك بذلك ستضحّي بستيفن من أجل بربارة.

- أندرشـافت: بكـل سـرور، وأنـت يـا عزيزتـي مـستعدة لأن تقـومي بغلي بربارة كي تصنعي حساءً لستيفن.

- السيدة بريتومارت: القضية ليست قضية ما نحب وما لا نحب يا آندرو. إنها قضية واجب. يتوجب عليك أن تجعل ستيفن وريثك.

- أندرشافت: تماماً بقدر ما يتوجب عليك بأن ترضخي لزوجك. هيـا بنا يا بيدي! إن حيل الطبقة الحاكمة هذه لا تجـدي نفعـاً معي فأنا نفسي واحد مـن أفـراد الطبقـة الحاكمـة، وأن تعطي الكراسات للمبشر لهي مضيعة للوقت. السلطة في هـذا الأمـر لـي ولـن أسمـح بـأن يـتم الاحتيـال علـي كـي أستخدمها في سبيل إرضاء غاياتك.

- السيدة بريتومارت: يمكنك جعلي أضجر بحديثك يا آندرو لكـن لا يمكنك تحويل الخطأ إلى صواب، ثـم إن ربطـة عنقـك مائلة كلياً لجانب واحد. قم بتقويمها.

- أندرشافت: (مرتبكـاً) لـن تبقـى سـوية إلا إذا تم تثبيتهـا بـدبوس ـ (يتلمسها بتكشيرة طفولية).

(يدخل ستيفن).

- ستيفن: (عند الباب) أستميحكما عذراً (يوشك على التراجع)

- السيدة بريتومارت: لا بأس. ادخل يا ستيفن. (يتقدم ستيفن حتى يصل إلى طاولة الكتابة الخاصة بأمه).

- أندرشافت: (بوديّة ليست بالغة) مساء الخير.

- ستيفن: (ببرود) مساء الخير.

- أندرشافت: (مخاطباً السيدة بريتومارت) إنه على معرفة تامة بالعرف حسب ما أفترض؟

- السيدة بريتومارت: أجل (مخاطبة ستيفن) هذا ما أخبرتك به الليلة الماضية يا ستيفن.

- أندرشافت: (بتهجم) أتفهم رغبتك بأن ترث تجارة المدافع.

- ستيفن: أنا أعمل بالتجارة! بالتأكيد لا رغبة لي بهذا.

- أندرشافت: (فاتحاً عينينه، وقد شعر براحة عظيمة عمّت باله وظهرت في أسلوبه) أوه! في ذلك الحال ـ!

- السيدة بريتومارت: المدافع ليست تجارة يا ستيفن. إنها مشروع.

- ستيفن: ليست لدي النية بأن أصبح رجل أعمال ولا بأي شكل من الأشكال. لا قدرة لي على العمل بالتجارة، وليس لدي الذوق المناسب لذلك. أنوي أن أكرس نفسي للسياسة.

- أندرشـافت: (وهـو يـنهض) هـذا يمـنحني راحـة عظيمـة يـا ولـدي العزيز، وأنا على ثقة بأن ذلك قد يثبت أنه لصالح البلاد بالقدر نفسه. كنت أخشى أن تعتبر نفسك مستخَفاً به أو مزدرىً. (يتجه نحو ستيفن كما لو أنه ينوي مصافحته).

- السيدة بريتومارت: (تنهض وتتدخل) لا يمكن أن أسمح لك بأن تضيع ثروة ضخمة كهذه يا ستيفن.

- ستيفن: (بصلابة) يجب أن يوضع حد لمعاملتك إياي على أني طفل يا أمي، لو سمحتِ.

- (تتراجع السيدة بريتومارت وقد جرحتها لهجته عميقاً) حتى الليلة الماضية لم أكن آخذ أسلوبك على محمل الجد لأني لم أكن أتوقع أنك كنت تقصدين التعامل معي من خلاله بالفعل، وإذا بي أجد الآن أنك تركتني جاهلاً بأمور كان عليك شرحها لي منذ سنين. أنا مجروح ومنزعج لأقصى درجة، ومن الأفضل أن يجري أي بحثٍ إضافي في موضوع نواياي مع أبي، كرجل لرجل.

- السيدة بريتومارت: ماذا يا ستيفن! (تجلس ثانية وقد امتلأت عيناها بالدموع).

- أندرشافت: (بإشفاق شديد) هل ترين يا عزيزتي. الرجال المسنون فقط هم الذين يمكن معاملتهم كأطفال.

- ستيفن: أنا آسف يا أمي لأنك أجبرتني على أن ـ

- أندرشافت: (موقفاً إياه) نعم، نعم، نعم، نعم، الأمور على ما يرام يا ستيفن. لن تتدخل في شؤونك بعد الآن. لقد حققت استقلاليتك، وقد حصلت على مفتاح القفل. لا تذكر الأمر ثانية وفوق كل شيء، لا تعتذر (يجلس ثانية) والآن، أخبرني عن مستقبلك كرجل لرجل ـ عذراً يا بيدي. كرجلين لامرأة.

- السيدة بريتومارت: (والتي استعادت حزمها بقوة) أنا أفهم ستيفن تماماً. فلتشق طريقك بنفسك بأي ثمن إذا كنت تشعر بأن لديك القوة الكافية لذلك.

- (يجلس ستيفن بحزم على الكرسي إلى طاولة الكتابة بطريقة يحاول من خلالها أن يثبت سموّه).

- أندرشافت: لقد حسم الأمر على أنك لا تطالب بأن ترث تجارة المدافع.

- ستيفن: أتمنى بأن يحسم الأمر على أني أرفض الاعتراف بتجارة المدافع.

- أندرشافت: تعال، تعال! لا تعبس بشكل مفرط لهذا الحد، فهذا تصرف صبياني. الحرية يجب أن تكون مصحوبة بالكرم، إضافة إلى هذا، أنا مدين لك بانطلاقة كريمة في الحياة كبديل عن حرماني لك من الميراث. لا

يمكنك أن تصبح رئيس وزراء مرة واحدة. أليس لديك ميل نحو شيء ما؟ ماذا عن الأدب والفن وما شابه؟

- ستيفن: أنا لا أمتلك أياً من مقومات الفنان لا ضمن مقدراتي ولا في شخصيتي. حمداً لله!

- أندرشافت: ربما لديك مقومات فيلسوف، ما رأيك؟

- ستيفن: أنا لا أدعي ادعاءً سخيفاً كهذا.

- أندرشافت: هكذا إذاً. حسناً، هنالك الجيش والأسطول والكنيسة والمحكمة. العمل في المحكمة يتطلب بعض الكفاءة. ما رأيك بالعمل في المحكمة؟

- ستيفن: أنا لم أدرس الحقوق، وأخاف ألا يكون لدي النفوذ الضروري ـ أظن أنهم يطلقون على سوقييهم اسم محام في محكمة عليا ـ لكي أفلح في التوسل.

- أندرشافت: إنها قضية صعبة جداً يا ستيفن. لم يبق شيء تقريباً إلا خشبة المسرح. هل لديك مقومات للعمل هناك؟ (يتحرك ستيفن حركة تدل على نفاذ صبره) حسناً، أخبرني، هل هنالك شيء تعرف عنه أو لديك اهتمام به؟

- ستيفن: (ينهض وينظر إليه بثبات) أنا أعرف الفرق بين الصواب والخطأ.

- أندرشـافت: (شـاعراً بدعابة غـامرة) أنـت لا تعـني مـا تقولـه! مـا هـذا الـذي تقـول! ليـست لـديك الكفـاءة للعمـل بالتجـارة، ولا المعرفـة للعمـل في المحامـاة، ولا الإحـساس تجـاه الفـن، ولاتـدعي معرفتـك بالفلـسفة. فقـط لـديك معرفـة بـسيطة بالـسر الـذي حيّـر كـل الفلاسـفة وأربـك كـل المحـامين، وشـوشّ كـل رجـال الأعمـال، ودمـر معظـم الفنـانين؛ سـر معرفة الصواب من الخطأ. ما هذا يا رجل. إنك عبقري. إنك معلم كل المعلمين. إنك إله! وفي الرابعة والعشرين أيضاً!

- ستيفن: (محافظاً بصعوبة على هدوئه) أنت سعيد بطرافتك. أنا لا أدعـي أنـي أعـرف أكثـر ممـا يعـرف أي نبيـل إنكليـزي رفيع النسب بالاعتماد على نسبه (يجلس بعصبية).

- أندرشـافت: أوه، ذاك مـا يعرفـه أي شـخص بالاعتمـاد علـى نـسبه. انظـر إلى جـيني هيـل الـصغيرة المـسكينة، فتـاة جـيش الخلاص! ستحسب أنـك تهـزأ بهـا فيمـا لـو طلبـت منهـا أن تقــف في الــشارع وتــدرس القواعــد أو الجغرافيــة أو الرياضيات أو حتى الرقص في حفـلات غـرف الاسـتقبال، لـكن يستحيل أن يخطر لها أن تشك بقدرتها على تدريس الأخـلاق والـدين. أنـتم جمـيعكم متـشابهون أيهـا النـاس المحترمـون. لـيس بوسـعكم إخبـاري علـى الأثـر التفجيري

لمسدس العشر إنشات والذي هو أمر بسيط جداً لكنكم جميعاً تعتقدون أن بإمكانكم إخباري عن الأثر التفجيري لشخص واقع تحت تأثير الإغواء. أنتم لا تجرؤون على تعاطي المتفجرات ذات الطاقة العالية، لكنكم جميعكم على استعداد لأن تتعاطوا مواضيع الشرف والحقيقة والعدالة والواجب الكلي للإنسان، ولأن يقتل واحدكم الآخر في هذه اللعبة. ماهذه البلاد! ما هذا العالم!

- السيدة بريتومارت: (بقلق) ما الذي تظن أنه من الأفضل بالنسبة له أن يفعله يا آندرو؟

- أندرشافت: أوه، ما يرغب بفعله وحسب. إنه لا يعرف شيئاً ويظن أنه يعرف كل شيء، وهذا يرمز بوضوح إلى العمل السياسي. احصلي له على أمانة سر خاصة عند شخص ما يمكن أن يعيّنه كوكيل في الوزارة، ومن ثم دعيه وشأنه. سيجد مكانه الطبيعي والملائم في النهاية على مقعد القاضي.

- ستيفن: (يثور ثانية) أنا آسف يا سيدي إذ أنك تجبرني على أن أنسى الاحترام الذي يجب علي أن أوليه لك كونك والدي. أنا رجل إنكليزي، ولست مستعداً لأن أسمع

حكومة بلادي تشتم. (يضع يديه بقوة في جيبيه، ويعبر بعصبية متجهاً نحو النافذة).

- أندرشافت: (بلمسة من الوحشية) حكومة بلادك! أنا أمثل حكومة بلادك. أنا ولازاروس. هل تحسب أنك أنت ونصف دزينة ممن تنقصهم الخبرة من أمثالك بجلوسكم متنازعين في متجر الثرثرة السخيف ذاك بإمكانكم أن تحكموا أندرشافت ولازاروس؟ لا يا صديقي. سوف تقومون بما يعود علينا بالمال سوف تشنون الحرب في الوقت الذي يلائمنا وتلتزمون بالسلم حين لا يناسبنا ذلك، سوف تكتشفون بأن التجارة تتطلب معايير معينة حين نكون قد وصلنا إلى قرار بشأن هذه المعايير، وحين أكون بحاجة إلى أي شيء لإبقاء معدل حصصي مرتفعاً ستكتشفون أن حاجتي هي حاجة قومية، وعندما يريد الآخرون فعل شيء ما للإبقاء على معدل حصصي منخفضاً ستستنجدون بالشرطة والجيش، وبالمقابل، ستحصلون على الدعم والإطراء من صحفي، وعلى متعة التخيل بأنكم رجال دولة عظماء، وأنكم تمثلون حكومة بلادكم. دعك من هذا يا بني، ولْتَلْهُ بقضاياك ومقالاتك الافتتاحية وأحزابك التاريخية وزعمائك

العظماء وتساؤلاتك المتأججة وغيرها من دُماك. أنا عائد إلى مكتب المحاسبة وعقد الصفقات الخاصة بي كي أدفع للزمار وأستحضر اللحن.

- ستيفن: (وهو يبتسم من قلبه ويضع يده على كتف والده بمناصرة صبورة) بالفعل يا والدي العزيز إنه لمن المستحيل أن يغضب المرء منك. لا يمكن أن تتصور كم يبدو كل ما سمعته تافهاً بالنسبة لي. أنت محق جداً بكونك فخوراً إذ كنت كادحاً لحد أمكنك معه أن تجمع ثروة، وقد أحسنت جداً باستغلالك لهذا الأمر استغلالاً كبيراً، لكن هذا حصرك ضمن جماعات يتم تقييمك في إطارها على أساس ما تملكه من مال، ويتم إنزالك عند إرادته بدلاً من أن تنشأ في المدرسة والجامعة الحكوميتين الموثوقتين ذوات الطراز القديم اللتين هما خلف الزمن واللتين كونت فيهما عاداتي الفكرية. من الطبيعي بالنسبة لك أن تظن بأن المال يحكم إنكلترا، لكن يجب عليك أن تسمح لي بأن أظن أني أعرف أكثر مما تعرف.

- أندرشافت: وما الذي يحكم إنكلترا بالله عليك؟

- ستيفن: الشخصية يا والدي، الشخصية.

- أندرشافت: شخصية من؟ شخصيتك أم شخصيتي؟

- ستيفن: لا شخصيتك ولا شخصيتي يا أبي بل العناصر الأفضل في الشخصية الانكليزية القومية.

- أندرشافت: لقد وجدت المهنة المناسبة لك يا ستيفن. إنك صحفي بالفطرة. سأبدأ بإصدار مجلة أسبوعية مدَّعية. تم الأمر!

(يتجه ستيفن نحو طاولة الكتابة الأصغر، ويشغل نفسه برسائله).

(تدخل سارة وبربارة ولوماكس وكزنز وقد تجهزوا للخروج. تعبر بربارة الغرفة إلى ان تصل إلى النافذة، وتنظر للخارج. ينحرف كزنز بدماثة باتجاه الكرسي ذي الذراعين، ويبقى لوماكس قرب الباب بينما تأتي سارة إلى حيث توجد أمها).

- سارة: اذهبي وجهزي نفسك يا أمي فالعربة تنتظر.

(تغادر السيدة بريتومارت الغرفة).

- أندرشافت: (مخاطباً سارة) طاب يومك يا عزيزتي. مساء الخير يا سيد لوماكس.

- لوماكس: (بغموض) أهديدوووووو.

- أندرشافت: (مخاطباً كزنز) أنت على خير ما يرام بعد الليلة الماضية يا يوريبيدوس. أليس كذلك؟

- كزنز: على خير ما يُتوَقَّع.

- أندرشافت: هذا صحيح (مخاطباً بربارة) إذاً أنت قادمة لرؤية مصنع الموت والدمار الخاص بي يا بربارة؟

- بربارة: (عند النافذة) لقد أتيت البارحة لرؤية مصنع الخلاص الخاص بي، وقد وعدتك برد الزيارة.

- لوماكس: (يتقدم للأمام ويقف بين سارة وأندرشافت) ستجدون الأمر ممتعاً لأبعد حد فقد دخلت مرة إلى مخزن (وولويك) للأسلحة، كما أن هذا يعطيكم شعوراً ثاقباً بالأمان، كما تعلمون، لو فكرتم بعدد المتسولين اللذين يمكن لكم بأن تقتلوهم إذا وصل الأمر للقتال. (مخاطباً أندرشافت بإجلال مفاجئ) لكن لا بد وأن تكون هذه فكرة مرعبة جداً بالنسبة لك من وجهة النظر الدينية إذا جاز التعبير فأنت تمضي قدماً كما تعلم، وكل تلك الأمور.

- سارة: أنت لا تبالي ببلاهة تشولي يا أبتي، أليس كذلك؟

- لوماكس: (متفاجئاً أكثر من قبل) أوه يا للهول!

- أندرشافت: إن السيد لوماكس ينظر إلى الأمر بشكل سليم جداً يا عزيزتي.

- لوماكس: هكذا تماماً. ذلك كل ما كنت أقصده. أنا أؤكد لك.

- سارة: هل أنت قادم يا ستيفن؟

- ستيفن: حسناً، أنا مشغول جداً ـ مم ـ (برحابة صدر) أوه حسناً، أجل سآتي. هذا إذا كان هنالك متسع لي.

- أندرشافت: يمكنني أن آخذ شخصين معي في سيارة صغيرة أقوم بتجريبها من أجل الاستخدام الميداني. لا أظنكم ستبالون بكونها بعيدة تماماً عن الطراز الحديث. إنها غير مطلية بعد لكنّها مضادة للرصاص.

- لوماكس: (وقد روّعه احتمال زيارة منطقة ويلتون كريسنت في سيارة غير مطلية) أوه يا للهول!

- سارة: العربة لي. شكراً لكم، فبربارة لا تبالي بما تراه في الداخل.

- لوماكس: أنا أقول يا دولي يا صديقي العزيز: هل عندك مانع حقاً من أن تركب السيارة، كونك فتىً؟ لأنه طبعاً إن كان لديك مانع فسأركبها أنا رغم أنه ـ

- كزنز: أنا أفضّل ركوبها.

- لوماكس: أشكرك لأقصى درجة يا صديقي العزيز. تعالي يا سارة (يخرج مسرعاً كي يضمن مقعده في العربة، وتلحق سارة به).

- كزنز: (يمشي بكآبة نحو الجهة المقابلة إلى حيث طاولة الكتابة الخاصة بالسيدة بريتومارت) لماذا نحن الاثنان ذاهبان إلى إدارة مصنع الجحيم هذه؟ هذا ما أسأل نفسي عنه.

- بربارة: لقد كنت دائماً أتصور المكان كما لو أنه بؤرة تثير فيها كائنات ضائعة ذات وجوه مسودة نيراناً ذات أدخنة، ويتم

تسييرها وتعذيبها من قبل والدي. هل يبدو كذلك يا أبي؟

- أندرشافت: (شاعراً بالعار) ما هذا الذي تقولينه يا عزيزتي! إنها بلدة جميلة تقع على جانب تلة، وهي نظيفة تماماً.

- كزنز: هل تحوي كنيسة صغيرة تابعة لأصحاب المذهب المنهجي؟ هيا، قل إنها تحوي كنيسة صغيرة تابعة لأصحاب المذهب المنهجي.

- أندرشافت: هنالك اثنتان؛ واحدة بدائية، والأخرى متطورة. حتى إن هنالك رابطة أخلاقية، لكنها ليست مدعومة بشكل كبير لأن رجالي جميعهم متدينون بتشدد. إنهم في العليات ذات الطاقة التفجيرية العالية يعارضون وجود الشكاكين باحتمالية وجود الله إذ يعتبرونهم غير مأموني الجانب.

- كزنز: ومع هذا فهم لا يعارضون وجودك!

- بربارة: هل يطيعون كل أوامرك؟

- أندرشافت: أنا لا أوجه أية أوامر. عندما أكلم أحدهم يتم ذلك على الشكل التالي: "حسناً يا جونز، هل تحسنت صحة الطفل؟ وهل شفيت السيدة جونز تماماً؟".

- "هذا لطف منك. شكراً لك يا سيدي" وهذا كل شيء.

- كزنز: لكن يجب أن يبقى جونز خاضعاً للنظام. كيف تحافظ على الانضباط بين رجالك؟

- أندرشافت: أنا لا أفعل ذلك. هم يفعلونه. تعلم أن الشيء الوحيد الذي لن يحتمله جونز هو أي تمرد من رجل أدنى منه، أو أي تأكيد على التساوي الاجتماعي بين زوجة الرجل الذي يتقاضى أقل منه بأربع شلنات في الأسبوع والسيدة جونز! بالطبع هم جميعاً يتمردون ضدي نظرياً، أما عملياً، فكل رجل منهم يبقي الرجل الذي يدنوه منزلة تماماً في مكانه. أنا لا أتدخل بهم على الإطلاق، ولا أتأمر عليهم أبداً، ولا أتأمر حتى على لازاروس. أنا أقر بأن هنالك أشياء معينة يتوجب القيام بها، لكني لا آمر أحداً بأن يقوم بها. أنا لا أعني أن أقول إنه لا يجري هناك فرض أو دفع للعمل أو حتى تأمر، فالرجال يدفعون الصبية للعمل ويفرضون عليهم الأوامر هنا وهناك، والسائقون يفرضون الأوامر على عمال التنظيفات، والحرفيون يتأمرون على العمال الذين ليست لديهم الخبرة، ومراقبو العمال يسيّرون عمل الحرفيين والعمال ويتأمرون عليهم، والمهندسون المساعدون يتوجهون بالانتقاد إلى مراقبي العمال، والمهندسون الأساسيون

يوبخون المساعدين، والمدراء الإداريون يجهدون المهندسين الأساسيين، ورجال الدين يرتدون قبعات طويلة ويحملون كتب التراتيل ويحافظون على مكانتهم الاجتماعية برفضهم بأن تتم مقارنتهم بالتساوي مع أي شخص، والنتيجة هي ربح ضخم يصل إلي.

- كزنز: (مشمئزاً) إنك حقاً ـ حسناً، ما كنت أقوله البارحة.

- بربارة: ماذا كان يقول البارحة؟

- أندرشافت: لا تهتمي يا عزيزتي. إنه يعتقد أني جعلتك تعيسة، هل فعلت ذلك؟

- بربارة: هل تظن أني يمكن أن أكون سعيدة وأنا أرتدي هذا الثوب السوقي المضحك؟ أنا التي ارتديت البدلة! هل بإمكانك أن تفهم ما الذي فعلته لي؟ في البارحة، كانت بيدي روح إنسان. لقد وضعته على طريق الحياة ووجهه متجه نحو الخلاص، ولكن عندما أخذنا النقود منك عاد للسكْر والسخرية. (بإدانة شديدة) لن أغفر لك هذا أبداً. لو كان لدي طفل وأهلكت جسده بمتفجراتك ـ لو قتلت دولي بأسلحتك النارية المرعبة ـ لأمكنني أن أغفر لك إذا كان غفراني سيفتح أبواب السماء أمامك،

ولكن أن تأخذ مني روحاً بشرية وتحولها إلى روح ذئب!
ذلك أسوأ من أية جريمة قتل.

- أندرشافت: وهل تيأس ابنتي بهذه السهولة؟ هل يمكن أن تخترقي إنساناً حتى القلب دون أن تتركي أي أثر عليه؟

- بربارة: (يشرق وجهها) أوه، أنت على حق. لا يمكن أن يضيع الآن أبداً. أين كان إيماني؟

- كزنز: أوه، أيها الشيطان البالغ الذكاء!

- بربارة: قد تكون شيطاناً، لكن الله يتكلم من خلالك في بعض الأحيان (تتناول يدي والدها وتقبلهما) لقد أعدت إلي سعادتي. أشعر بها عميقاً في داخلي الآن على الرغم من أن روحي مضطربة.

- أندرشافت: لقد تعلمت شيئاً، وهذا يبدو دوماً في البداية كما لو أنك قد فقدت شيئاً ما.

- بربارة: حسناً، خذني إلى مصنع الموت ودعني أتعلم شيئاً إضافياً. لا بد وأن تكون هنالك حقيقة ما أو أخرى وراء كل هذه المهزلة المرعبة. تعال يا دولي (تخرج).

- كزنز: يا ملاكي الحارس! (مخاطباً أندرشافت) يا لك من متشدق! (يتبع بربارة).

- ستيفن: (بهدوء، وهو جالس إلى طاولة الكتابة) لا يجب أن تنزعج من كزنز يا أبتي فهو شخص طيب وودود جداً، لكنه باحث باليونانية، وبطبيعة الحال شاذ بعض الشيء.

- أندرشافت: أه، الأمر هكذا تماماً. شكراً لك يا ستيفن. شكراً لك (يخرج)، (يبتسم ستيفن مناصراً، ويسوي أزرار معطفه بمسؤولية، ويعبر الغرفة متجهاً نحو الباب فتفتحه السيدة بريتومارت، وقد ارتدت ثياب الخروج، قبل أن يصل إليه. تنظر حولها بحثاً عن الآخرين، وتنظر إلى ستيفن، ومن ثم تستدير كي تغادر دون أن تتفوه بكلمة).

- ستيفن: (محرجاً) أمي ـ

- السيدة بريتومارت: لا تتبع أسلوباً تبريرياً يا ستيفن، ولا تنسَ بأنك أصبحت تكبر أمك سناً (تخرج).

تقع بلدة بيريفيل القديس آندرور بين هضبتين من هضاب ميدلسكس، وترتفع جزئياً فوق الشمالية منهما. البلدة خالية تماماً من الدخان، ذات جدران بيضاء وسطوح مصنوعة من صخور الاردواز الخضراء الرفيعة، أو من القرميد الأحمر، وتتوضع فيها أشجار طويلة وقبب وأبراج للحرس وقنوات رفيعة للمداخن بأسلوب جميل، وهي بذاتها جميلة. أفضل مشهد لها يمكن رؤيته من قمة منحدر على مسافة تقارب نصف ميل نحو الشرق حيث يتم التعاطي مع المواد ذات الطاقة التفجيرية العالية.

- يتوضع المصنع متخفياً ضمن الأعماق في الوسط، وتبرز قمم مداخنه كالقوارير الضخمة الخاصة بلعبة القوارير الخشبية داخل المنطقة النائية في المنتصف. يمتد عبر القمة رصيف إسمنتي ذو حاجز له وظيفة تحصينية لأن هنالك مدفعاً ضخماً من نوع وولويك إنفانت المندثر يحدق عبره بالبلدة. يرتفع المدفع فوق عربة تجريبية للأسلحة النارية يحتمل أن تكون الطراز الأصلي للسلاح الناري العنيف المنقرض الذي تم التلميح إليه من قبل ستيفن. يحوي الحاجز بداخله على درجة عالية تستخدم كمقعد.

تنظر بربارة، وهي متكئة فوق الحاجز، باتجاه البلدة. يوجد مدفع إلى يمينها، وإلى يسارها يظهر طرف علية ترتفع مرتكزة على دعائم، ولها سلم من ثلاث أو أربع درجات ترتفع حتى الباب الذي يطل إلى الخارج، وله منبسط خشبي صغير عند العتبة، وهنالك دلو حريق في زاوية المنبسط. تقع نهاية الحاجز أمام حافة العلية تاركة أخدوداً يشكل بداية للطريق الذي يتجه للأسفل نحو الهضبة عبر المصنع مؤدياً إلى البلدة. يتوضع خلف المدفع حامل متحرك يحمل قنبلة مخروطية ضخمة مطلي عليها حزام أحمر. يوجد على مسافة أبعد عن الحاجز، وعلى الجانب نفسه، كرسي شاطئ بالقرب من باب مكتب هو، كما العليات، مبني بأبسط طريقة ممكنة.

يصل كزنز عبر الطريق قادماً من البلدة.

- بربارة: ماذا لديك؟

- كزنز: ليست هنالك بارقة أمل. كل شيء تام ورائع وحقيقي. إنها تحتاج فقط لكنيسة مركزية كي تغدو مدينة مقدسة بدلاً من أن تكون مدينة جهنمية.

- بربارة: هل استطعت أن تعرف فيما إذا قاموا بأي شيء من أجل بيتر شيرلي العجوز؟

- كزنز: لقد وجدوا له وظيفة كبواب ومسجل لساعات العمل. إنه بائس لدرجة مرعبة. إنه يدعو ضبط ساعات العمل بالعمل الذهني، ويقول إنه غير معتاد عليه، وبأن مأواه عند البوابة رائع جداً لدرجة أنه يخجل من استخدام الغرف، ويختبئ في حجرة غسل الأطباق.

- بربارة: يا لبيتر المسكين!

- (يصل ستيفن قادماً من البلدة وهو يحمل منظار ميدان).

- ستيفن: (بحماس) هل شاهدتما المكان أنتما الاثنان؟ لماذا تركتمانا؟

- كزنز: أردت أن أرى كل شيء لم يكن مرغوباً بأن أراه وبربارة أرادت أن تترك الرجال يتحدثون.

- ستيفن: وهل وجدتم أي شيء معيب؟

- كزنز: لا، إنهم يدعونه باسم داندي آندي، وهم فخورون بكونه وغداً عجوزاً خبيثاً، لكن كل شيء تام بشكل فظيع ومريع ولا أخلاقي قطعياً.

(تصل سارة).

- سارة: يا للسماء! يا له من مكان! (تعبر الحامل) هل شاهدتم دار التمريض!؟

(تجلس على القنبلة).

- ستيفن: هل شاهدتم المكتبات والمدارس؟

- سارة: هل شاهدتم قاعة الحفلات الراقصة، وحجرة الطعام والشراب في دار البلدة!؟

- ستيفن: هل تناقشتم بشأن اعتمادات التأمين، واعتمادات التقاعد، والرابطة الإعمارية، والتنفيذات التعاونية المختلفة؟

- (يصل أندرشافت قادماً من المكتب وبيده حزمة من البرقيات).

- أندرشافت: حسناً، هل شاهدتم كل شيء؟ أنا آسف لأنه تم استدعائي جانباً (يشير إلى البرقيات) أخبار من منشوريا...

- ستيفن: آمل أن تكون أخباراً جيدة.

- أندرشافت: جيدة جداً.

- ستيفن: هل هناك انتصار ياباني آخر؟

- أندرشافت: أوه، لا أدري. لا يهمنا أي طرف ينتصر. لا يهم. الأخبار الجيدة هي أن السفينة الحربية الجوية قد حققت

نجاحاً هائلاً. عند التجربة الأولى دمرت قلعة تحوي بداخلها ثلاثمائة جندي.

- كزنز: (من مكانه على الرصيف) دمىً على شكل جنود؟

- أندرشافت: لا، بل جنود حقيقيون (يتبادل كزنز وبربارة النظرات، ثم يجلس كزنز على الدرجة ويخفي وجهه بين يديه. تضع بربارة يدها بوقار على كتفه فينظر للأعلى إليها بنوع من اليأس المتقلب) حسناً يا ستيفن، ما رأيك بالمكان؟

- ستيفن: أوه، مكانٌ باهر. إنه يشكل انتصاراً مطلقاً للتنظيم. بصراحة يا والدي العزيز، لقد كنت أحمقَ. لم تكن لدي فكرة عما يعنيه كل هذا ـ عن التدبير الرائع، وعن قوة التنظيم، وعن القدرة الإدارية، وعن العبقرية المالية، وعن رأس المال الضخم الذي تقدمه. كنت أردّد في نفسي بينما كنت أمشي عبر شوارعك: "إن انتصارات السلام لا تقل شهرة عن انتصارات الحرب". لدي فقط توجس وحيد يتعلق بهذا كله.

- أندرشافت: أعلمنا به.

- ستيفن: حسناً، لا أستطيع التوقف عن التفكير بأن كل هذا التوفير لكل حاجة من حاجات عمالك قد يقوض

استقلاليتهم ويضعف حسهم بالمسؤولية. وبالرغم من أننا قد استمتعنا لدرجة كبيرة بالشاي الذي قدم لنا في ذلك المطعم الرائع ـ وكيف أنهم منحونا كل تلك الرفاهية، وقدموا لنا الكعك والمربى والقشدة مقابل ثلاثة بنسات، وهو شيء لا أستطيع تخيله، رغم ذلك، عليك أن تتذكر بأن المطاعم تشتت الحياة الأسرية. انظر إلى الأشخاص العفيفين على سبيل المثال! هل أنت واثق من أن التدليل الشديد مفيد فعلاً لشخصيات العمال؟

- أندرشافت: حسناً، وكما ترى يا ولدي العزيز، عندما تعمل على تنظيم الحضارة فعليك أن تقرر فيما إذا كانت المشاكل والتوتر أشياء مفيدة أم لا. إذا توصلت إلى أنها مفيدة فأنا أفهم الأمر عندها على أنك ببساطة لا تقوم بتنظيم الحضارة، وكنتيجة طبيعية تجد نفسك واقعاً في مشاكل وقلق تكفي لتجعل منا جميعاً ملائكة! لكن إذا توصلت إلى عكس ذلك فقد تتمكن كذلك من تدبير الأمور، ومع ذلك يا ستيفن فإن شخصياتنا في مأمن هنا، وهنالك جرعة كافية من القلق تنبع دائماً من حقيقة أننا يمكن أن نتحول إلى شظايا في أية لحظة.

- سارة: بالمناسبة يا أبي، أين تصنعون المواد المتفجرة؟

- أندرشافت: في عليات صغيرة منفصلة تشبه تلك العلية. عندما تتفجر إحداها يكلفنا ذلك مبلغاً ضئيلاً جداً، والأشخاص القريبون منها تماماً هم فقط من يقتلون.

(ينظر إليها ستيفن، والذي هو قريب تماماً منها، بفزع ويتحرك بسرعة مبتعداً نحو المدفع. في اللحظة ذاتها يفتح باب العلية بشكل مباغت ويخرج أحد مراقبي العمال مرتدياً مئزراً وخفاً خاصاً بالعمل، ويقف على منبسط الدرج، ويمسك الباب كي يبقى مفتوحاً ليمر لوماكس الذي يظهر في المدخل).

- لوماكس: (ببرود مدروس) لا داعٍ لأن تصاب بحالة من العصاب يا صديقي الطيب. لن يحدث أي شيء لك، ولا أظن أنها ستكون نهاية العالم فيما لو حصل أي شيء. القليل من الشجاعة البريطانية هو ما أنت بحاجة إليه يا رجل.

(ينزل ويتمشى إلى الجهة المقابلة حيث توجد سارة).

- أندرشافت: (مخاطباً مراقب العمال) هل هنالك أية مشكلة يا بلتون؟

- بلتون: (بهدوء ساخر) هذا السيد دخل إلى علية المواد ذات الطاقة التفجيرية العالية وأشعل سيجارة يا سيدي. هذا كل ما في الأمر.

- أندرشافت: آه، هكذا إذاً. (مخاطباً لوماكس) وهل تذكر بالصدفة ماذا فعلت بعود الثقاب؟

- لوماكس: أوه، لا تقلق! أنا لست أحمقَ. لقد حرصت حرصاً تاماً على إطفائه قبل أن أرميه بعيداً.

- بلتون: لقد كان رأسه أحمر حاراً من الداخل يا سيدي.

- لوماكس: حسناً، لنفرض أنه كان كذلك، لكني لم أقذفه داخل أي من خلائطكم.

- أندرشافت: لا تفكر بالأمر أكثر من ذلك يا سيد لوماكس. بالمناسبة، هل لك أن تعيرني أعواد ثقابك؟

- لوماكس: (مقدّماً علبته) بالتأكيد.

- أندرشافت: شكراً (يضع أعواد الثقاب في جيبه).

- لوماكس: (مخاطباً الجماعة عامّةً بأسلوب من يلقي محاضرة) تعلمون أن هذه المواد ذات الطاقة التفجيرية العالية لا تنفجر كالبارود إلا حين تكون داخل سلاح ناري. يمكنكم عندما تكون منتشرة بشكل حر أن تقرّبوا منها عود ثقاب دون أدنى خطورة فهي فقط تحترق بهدوء كقطعة من الورق. (ينفعل بتأثير الأهمية العلمية للموضوع) هل كنت تعلم بهذا يا أندرشافت؟ هل جربت ذلك من قبل؟

- أندرشافت: ليس على نطاق واسع يا سيد لوماكس. سيعطيك بلتون نموذجاً من القطن المتفجر حين تغادر إذا طلبت منه

ذلـك. يمكنـك أن تجـري عليـه التجربـة في البيـت (يبـدو بلتون مرتبكـاً).

- سـارة: لـن يفعـل بلتـون شـيئاً مـن هـذا القبيـل يـا أبـتي. أفـترض أن عملـك هـو تفجـير اليابـانيين والـروس، لكنـك لـن تقـدم فعـلاً علـى تفجـير تـشولي المـسكين. (يتخلـى بلتـون عـن الفكـرة وينحسب إلى داخل العلية).

- لوماكس: ليس هنالك من خطر يا حبيبتي. (يجلس بجانبها على القنبلة).

- (تصل السيدة بريتومارت من البلدة وهي تحمل باقة من الورد).

- السيدة بريتومـارت: (تقبـل بعنـف وتقـف بـين أندرشـافت وكرسـي الشاطئ) كـان عليك أن تـدعني أتفـرج علـى هـذا المكـان يا آندرو.

- أندرشافت: لماذا يا عزيزتي؟

- السيدة بريتومـارت: لا يهـم لمـاذا. كـان عليـك أن تفعـل ذلـك، هـذا كـل شـيء. عنـدما يفكـر المـرء بكـل ذلـك (تـشير إلى البلدة) على أنه ملكك! وبأنك احتفظت به لنفسك طوال تلك السنين!

- أندرشافت: هذا لـيس ملكـاً لـي، بـل إنـي أنـا ملـك لـه. إنـه تركـة عائلة أندرشافت.

- السيدة بريتومارت: إنه ليس كذلك. قد تكون مدافعك السخيفة وهذا المصنع الذي يضجّ بصخب تركة عائلة أندرشافت، لكن كل هذا الصفيح والكتان، وكل ذلك الأثاث، وكل تلك المنازل والبساتين والحدائق هي ملك لنا. إنها ملك لي. إن تدبيرها ليس من شأن الرجال. أنا لن أتخلى عنها. لا بد وأنك قد فقدت صوابك إذا كنت تفكر بأن تضيّعها جميعها، وإذا كنت مصراً على حماقة كهذه فسأستدعي طبيباً.

- أندرشافت: (ينحني كي يشتم الباقة) من أين حصلت على الزهور يا عزيزتي؟

- السيدة بريتومارت: قدمها لي رجالك في كنيسة (وليام موريس) الخاصة بك، والتابعة لحزب العمال.

- كزنز: (مهتاجاً) أوه! لقد كانت البلدة بحاجة لذلك فحسب، كنيسة تابعة لحزب العمال!

- السيدة بريتومارت: أجل، وقد كتبت كلمات موريس بأحرف من الفسيفساء على ارتفاع عشرة أقدام حول القبة: "لا وجود لإنسان صالح بما يكفيه كي يكون سيد إنسانٍ آخر" يا لتشاؤمية هذا الكلام!

- أندرشـافت: أنـا آسـف لكونهـا صـدمت الرجـال في بدايـة الأمـر لكنهم حاليـاً لم يعـودوا يلحظونهـا أكثـر ممـا يلحظـون الوصايا العشر في الكنيسة.

- السيدة بريتومارت: إنك تحاول أن تبعدني عن موضوع التركة من خلال دعابات دنسة يا آندرو. حسناً، لن نتمكن من هـذا فأنـا لم أعـد أطالـب بهـا لأجـل سـتيفن فقـد ورث قـدراً كـبيراً مـن ضـلالك لحـد لم يعـد معـه مـؤهلاً لأن يحـصل عليهـا، لكـن بربـارة لها حقـوق مثـل سـتيفن. لماذا لا يـرث أدولفـوس التركـة؟ باسـتطاعتي أن أديـر لـه البلـدة، ، وبمقدوره هو أن يعتني بالمدافع إذا كانت حقاً ضرورية.

- أندرشـافت: مـا كنـت لأتمنـى شـيئاً أفـضل مـن هـذا لـو كـان أدولفـوس لقيطـاً. إنـه بالتحديـد مـن الـسلالة الجديـدة المطلوبـة في مجـال التجـارة الإنكليزيـة، لكنـه لـيس لقيطاً، وهنا ينتهي الأمر.

- كزنز: (بلباقة) ليس تماماً. (يلتفت الجميع ويحدقون به. يقبل من مكانـه علـى الرصـيف متجـاوزاً العليـة حتـى يـصل إلى أندرشـافت) باعتقـادي ـ اسمعـوا! أنـا لا ألـزم نفسي بـأي شـكل فيمـا يتعلـق بـشأن مـسيرتي المـستقبلية ـ لكـني أعتقد أن عقبة اللقيط يمكن التغلب عليها.

- أندرشافت: ما الذي تعنيه؟

- كزنز: حسناً، لدي شيء أود قوله على شكل اعتراف.

- سارة:

- السيدة بريتومارت: ——— اعتراف!

- بربارة:

- ستيفن:

- لوماكس: أوه، يا للهول!

- كزنز: أجل، اعتراف! اسمعوا جميعاً: إلى حين لقائي ببربارة كنت أظن نفسي في غالب الأحيان رجلاً جديراً بالاحترام وصادقاً لأنني كنت أسعى وراء إرضاء ضميري أكثر من سعيي وراء أي شيء آخر، لكن، في اللحظة التي رأيت فيها بربارة أصبحت أتوق إلى وجهها أكثر من توقي لإرضاء ضميري.

- السيدة بريتومارت: ماذا يا أدولفوس!

- كزنز: أنت نفسك يا سيدة بريت اتهمتني بأني التحقت بالجيش كي أعبد بربارة، وهذا ما فعلته. لقد اشترت روحي كزهرة في زاوية الشارع، لكنها اشترتها لنفسها.

- أندرشافت: ماذا! وليس لديونيسوس أو غيره؟

- كزنز: ديونيسوس وكل الآخرين هم ضمن ذاتها. لقد عبدت ما كان مقدساً بداخلها، ولهذا فقد كنت عابداً صادقاً، لكنني كنت واهماً بشأنها أيضاً، فقد اعتقدت أنها كانت امرأة من الشعب، وبأن الزواج بأستاذ جامعي يدرّس اليونانية سوف يكون أشد بكثير من أشد المطامح الاجتماعية تطرفاً بالنسبة لمنزلتها.

- السيدة بريتومارت: ماذا يا أدولفوس!

- لوماكس: أوه، يا للهول!

- كزنز: وحين اكتشفت الحقيقة المرعبة ـ

- السيدة بريتومارت: ماذا تعني بالحقيقة المرعبة بالله عليك؟

- كزنز: أنها كانت ثرية لدرجة هائلة، وأن جدها هو إيرل، وأن والدها هو أمير الظلام ـ

- أندرشافت: أصمت!

- كزنز: ـ وبأني كنت مجرد مغامر يحاول أن يتصيد زوجة ثرية، وبعد ذلك، قمت بالتذلل كي أخدعها بشأن نسبي.

- بربارة: ما هذا الذي تقوله يا دولي!

- السيدة بريتومارت: نسبك! والآن يا أدولفوس لا تتجرأ وتحاول تأليف قصة بارعة كي تحصل على هذه المدافع القذرة. تذكر،

لقد شاهدت صوراً لوالديك، كما أن اللواء المفوض على جنوبي غربي أستراليا هو على معرفة شخصية بهما، وقد أكد لي بأنهما من أكثر الأزواج احتراماً.

- كزنز: إنهما كذلك في أستراليا، لكنهما مشردان. زواجهما شرعي في استراليا، لكنه ليس كذلك في إنكلترا فأمي هي شقيقة زوجة أبي المتوفاة، وفي هذه الجزيرة أنا أعتبر بالنتيجة لقيطاً. (بتأثر) هل الحيلة نافعة بما يكفي يا ميكافيلي؟

- أندرشافت: (بعد تفكير عميق) ربما تكون هذه طريقة لتخطي العقبة يا بيدي.

- السيدة بريتومارت: اسكت! لن يكون بمقدور إنسان أن يصنع المدافع بشكل أفضل إذا كان ابن خالة نفسه بدلاً من أن يكون ذاته الأصلية. (تجلس على كرسي الشاطئ بوثبة تعبر عن خالص احتقارها لاحتيالهم الشرعي).

- أندرشافت: (مخاطباً كزنز) أنت رجل مثقف، وهذا يخالف العرف.

- كزنز: تحدُثُ مرة كل عشرة آلاف مرة أن يوجد طالب مدرسة متعلم بالفطرة لما يحاولون تعليمه إياه. إن اليونانية لم تدمر فكري بل إنها غذته، إضافة إلى أني لم أتعلمها في مدرسة حكومية إنكليزية.

- أندرشافت: م م ! حسناً، لا يجب أن أكون صعب الإرضاء أكثر مما ينبغي. لقد حظيت باهتمام سوق اللقطاء. فلينه الأمر. أنت مؤهل يا يوريبيدوس، أنت مؤهل.

- بربارة: (تقبل من مكانها على الرصيف وتقف في الوسط بين كزنز وأندرشافت) صباح البارحة حين أخبرنا ستيفن بكل شيء يتعلق بالعرف غدوت ساكناً جداً يا دولي، ومنذ ذلك الحين وأنت متوتر وغريب الأطوار. هل كنت تفكر بنسبك وقتها؟

- كزنز: عندما يشير إصبع القدر فجأة إلى إنسان وهو في منتصف فطوره فإن هذا الأمر يجعله يستغرق في التفكير. (تستدير بربارة مبتعدة بحزن وتقف بجانب أمها وهي تصغي بحيرة).

- أندرشافت: هكذا إذاً ! لقد وضعت عينك على الصنعة يا صديقي الصغير، أليس كذلك؟

- كزنز: احذر! هنالك هوة من الاشمئزاز الأخلاقي الشديد تفصل بيني وبين سفنك الحربية الجوية اللعينة.

- أندرشافت: لا تبال بأمر الهوة في الوقت الحاضر. دعنا نتفق على التفاصيل العملية، ونترك أمر قرارك النهائي مفتوحاً. تعلم أنه سيتوجب عليك أن تغير اسمك، هل تعارض هذا؟

- كزنز: وهل يمكن لأي شخص اسمه أدولفوس ـ أي شخص يدعونه دولي! ـ أن يعترض على أن يدعى بأي اسم آخر؟

- أندرشافت: جيد. والآن، بشأن المال! لقد عرضت بأن أعاملك بشكل حسن منذ البداية. سوف تبدأ بألف جنيه في السنة.

- كزنز: (بانتقاد مفاجئ، وقد بدأت نظارته تتلألأ بتأثير الاضطراب) ألف جنيه! كيف تجرؤ على منح مبلغ ألف جنيه حقير لصهر مليونير! لا بحق السماء يا ميكافيلي، لن تتمكن من خداعي فأنت لا تستطيع الاستغناء عني، بينما أنا أستطيع الاستغناء عنك. يجب أن أحصل على ألفين وخمسمائة جنيه سنوياً لمدة سنتين، وإذا تبين أني فاشل عند نهاية تلك الفترة فسأمضي، لكن إذا تبين أني ناجح، وإذا تابعت، سيكون عليك منحي الخمسة آلاف المتبقية.

- أندرشافت: أية خمسة آلاف متبقية؟

- كزنز: أي التي تكمل دخلي في السنتين ليصبح خمسة آلاف في السنة، فالألفان والخمسمائة هي فقط نصف الأجرة في حال تبين فشلي. وفي السنة الثالثة يجب أن أحصل على عشرة بالمئة من الأرباح.

- أندرشافت: (مذهولاً) عشرة بالمئة! ما هذا الذي تقوله يا رجل، هل تعرف كم تبلغ أرباحي؟

- كزنز: إنها ضخمة كما آمل، وإلا فسأطلب خمسة وعشرين بالمئة.

- أندرشافت: ولكن يا سيد كزنز هذا أمر تجاري خطير، فأنت لا تقدم أي رأس مال إلى المؤسسة.

- كزنز: ماذا! لا أقدم رأس مال! ألا يعد إتقاني لليونانية رأس مال؟ ألا يعد دخولي إلى سبل الفكر الأرقى والشعر الأسمى الذي أنتجته البشرية حتى الآن رأس مال؟ وشخصيتي! وذهني! وحياتي! ومهنتي! وما تدعوه بربارة بروحي! ألا تعد رأس مال؟ إذا أضفت كلمة واحدة سأضاعف مرتبي.

- أندرشافت: كن منطقياً ـ

- كزنز: (بشكل حاسم) أصبحت تعرف شروطي يا سيد أندرشافت. إما اقبل بها أو ارفضها.

- أندرشافت: (يستعيد وعيه) حسن جداً. أنا أعتبر شروطك وأعطيك النصف.

- كزنز: (باشمئزاز) النصف!

- أندرشافت: (بإصرار) النصف!

- كزنز: تسمي نفسك نبيلاً وتعطيني النصف!!

- أندرشافت: أنا لا أسمي نفسي نبيلاً، لكني أعطيك النصف.

- كزنز: تفعل هذا مع شريكك المستقبلي! مع وريثك! مع صهرك!

- بربارة: إنك تبيع روحك أنت يا دولي، لا روحي أنا. أبقني خارج الصفقة من فضلك.

- أندرشافت: حسناً! سأتقدم خطوة من أجل بربارة. سأعطيك ثلاثة أخماس، لكن هذه هي كلمتي الأخيرة.

- كزنز: اتفقنا!

- لوماكس: اتفقتم وهزمتموني. أنا أحصل فقط على ثماني مائة في السنة كما تعلمون.

- كزنز: بالمناسبة يا ماك. أنا باحث تقليدي ولست باحثاً في الحساب. هل ثلاثة أخماس أكثر من النصف أم أقل؟

- أندرشافت: أكثر بالطبع.

- كزنز: كنت سأتقاضى مئتين وخمسين جنيهاً. كيف يمكن أن تنجح في العمل وأنت تقبل بأن تدفع كل تلك النقود إلى أستاذ جامعي من الواضح أنه لا يستحق أن يتقاضى أكثر من أجر موظف صغير! ـ حسناً، ماذا سيقول لازاروس؟

- أندرشافت: لازاروس يهودي لطيف عاطفي لا يهتم بشيء إلا الألحان الوترية الرباعية والمقاعد في المسارح ذات الطراز الحديث. سوف يحصل على الرصيد المالي كنتيجة لجشعك فيما يتعلق بالأمور المالية كما حصل على الرصيد نتيجة لجشعي حتى هذا الحين. أنت محتال من المقام الأول يا

يوريبيدوس، وهذا أفضل بكثير بالنسبة للشركة.

- بربارة: هل أغلقت الصفقة يا دولي؟ هل أصبحت روحك ملكاً له الآن؟

- كزنز: لا، لقد تم الاتفاق على السعر وهذا كل شيء، بيد أن الصراع العنيف الحقيقي سيأتي لاحقاً. وماذا عن الخلاف الأخلاقي؟

- السيدة بريتومارت: ليس هنالك خلاف أخلاقي في الأمر على الإطلاق يا أدولفوس. عليك ببساطة أن تبيع المدافع والأسلحة للأشخاص الذين تكون قضيتهم شرعية وعادلة، وأن ترفض بيعها للغرباء والمجرمين.

- أندرشافت: (بحزم) لا، ليس هناك شيء من هذا القبيل. يجب أن تحافظ على الإيمان الصادق للدرع وإلا فلن تدخل هذا المكان.

- كزنز: ماذا يعني الإيمان الصادق للدرع بحق السماء؟

- أندرشافت: أن تبيع الأسلحة لكل الأشخاص الذين يدفعون سعراً منصفاً مقابلها دون احترام للأشخاص أو المبادئ؛ للأرستقراطي وللجمهوري، لمن يؤمن بالعدمية وللقيصر للرأسمالي وللاشتراكي، للبروتستانتي وللكاثوليكي، للص وللشرطي، للزنجي ولذي البشرة البيضاء ولمن

ينتمي للعرق الأصفر، لكل الأصناف وبكل الأحوال، ولأصحاب كل القوميات وكل الديانات، وكل الحماقات، وكل القضايا، وكل الجرائم. لقد كتب أندرشافت الأول في متجره: "إذا كان الله قد منحنا اليد فلا تدع الإنسان يمنع عنها السيف" وكتب الثاني مضيفاً: "الجميع له الحق بأن يقاتل، لكن ليس لأحد الحق بأن يحكم" وكتب الثالث مضيفاً: "السلاح للإنسان، والنصر للسماء" الرابع لم يكن لديه ميل أدبي لذا لم يكتب أي شيء إضافي، لكنه باع أسلحة إلى نابليون أمام عيني جورج الثالث، وكتب الخامس مضيفاً: "لن يسود السلام إلا والسيف بيده" والسادس، وهو معلمي، كان أفضل الجميع، وقد كتب مضيفاً: "لن يتم فعل شيء في هذا العالم حتى يصبح الناس مستعدين لقتل بعضهم بعضاً إن لم يتم فعله". بعد ذلك، لم يبق شيء لدى السابع كي يقوله، لذا، فقد كتب مضيفاً ببساطة: "أندرشافت".

- كزنز: سوف أضيف كتابة شيء ما على الجدار بالتأكيد يا ميكافيلي الطيب، لكن بما أنني سأكتبه باليونانية فلن تكون بمقدورك قراءته، أما فيما يتعلق بإيمان

درعـك، فـإذا تمكنـت مـن تخلـيص رقـبتي مـن فـخ أخلاقيـاتي الذاتيـة فلـن أضـعها في فـخ أخلاقياتـك أنـت. سوف أبيع المدافع لمن يحلو لي، وسأرفض بيعها لمن يحلو لي. هذا ما سأفعله!

- أندرشـافت: منـذ اللحظـة الـتي تـصبح فيهـا آنـدرو أندرشـافت لـن تفعل ما يحلو لك على الإطلاق ثانية. لا تأت إلى هنـا وأنـت تتحرق إلى القوة أيها الشاب.

- كزنز: لو كانت القوة هدفي لما كنت أتيت إلى هنا سعياً وراءها فأنت لا تمتلك أية قوة.

- أندرشافت: أنا بذاتي لا أمتلك أية قوة بالتأكيد.

- كزنز: لدي من القوة أكثر مما لديك، ولـدي مـن الإرادة أكثـر مما لديك. إنك لا تسير هذا المكان إنما هـو يسيرك. ومـا هو الشيء الذي يسير هذا المكان؟

- أندرشافت: (بشكل غامض) إرادة أشكل أنا جزءاً منها.

- بربارة: (مذهولة) أبي! هل تدرك ما الذي تقوله أم إنك تنصب فخاً لروحي؟

- كزنز: لا تنصتي إلى غيبياته يا بربارة. إن المكان مسير من قبل أشد قطاعات المجتمع نذالة؛ من قبل متصيدي المال ومتصيدي المتعة، ومتصيدي الترفيعات العسكرية، وهو عبدهم.

- أندرشافت: ليس بالضرورة. تذكر إيمان الدرع. أنا مستعد لتلقي أمر من إنسان صالح وأنا اشعر بذات السعادة التي أشعر بها حين أتلقاه من إنسان سيء. إذا كنتم أنتم الناس الصالحون تفضلون الوعظ والتهرب على شراء أسلحتي ومحاربة الأوغاد فلا تلوموني. إني أستطيع صنع الأسلحة، لكني لا أستطيع صنع الشجاعة والإقدام. يا للعار! أنت تتبعني بمتاجرتك بالأخلاقيات يا يوريبيدوس. اسأل بربارة فهي تدرك الأمر. (يتناول فجأة يد بربارة وينظر بقوة في عينيها) أخبريه يا حبيبتي ما الذي تعنيه القوة بحق.

- بربارة: (وقد تم تنويمها مغناطيسياً) قبل أن ألتحق بجيش الخلاص الروحي كنت أتمتع بقوتي الذاتية، وكانت النتيجة أني لم أعرف أبداً ماذا أفعل بنفسي، وعندما التحقت به لم يعد لدي الوقت الكافي لإنجاز كل الأشياء التي كان علي إنجازها.

- أندرشافت: (باستحسان) هكذا إذاً، ولماذا تفترضين أن هذا قد حصل؟

- بربارة: البارحة كنت سأقول أن السبب هو أني كنت تحت سيطرة الإله (تستعيد ثباتها وهي تسحب يدها من يده بقوة توازي قوته) لكنك أتيت وبينت لي أني كنت تحت

سيطرة بودغار وأندرشافت. اليوم أشعر ـ أوه! كيف لي أن أعبر عن هذا بالكلمات؟ هل تذكرين الزلزال في (كانيس) عندما كنا أولاداً صغاراً يا سارة؟ — كم كان تأثير مفاجأة الصدمة الأولى طفيفاً إذا ما قُورن بالرعب والهلع الذي ساد مع انتظار الثانية. هذا ما أشعر به في هذا المكان اليوم. لقد وقفت على صخرة كنت أعتقد أنها ستخلد للأبد، وبدون كلمة إنذار تدحرجت وتداعت من تحتي. لقد كنت أشعر بالأمان وصاحب الحكمة اللا محدودة يرقبني وهنالك جيش يتقدم نحو الخلاص برفقتي، وفي غضون لحظة وبضربة من قلمك على دفتر الشيكات، غدوت وحيدة، وكانت السماوات فارغة. تلك كانت الصدمة الأولى التي نتجت عن الزلزال، وأنا بانتظار الثانية.

- أندرشافت: تعالي، تعالي يا ابنتي! لا تعطي مأساتك التنكيَّة الصغيرة أكبر من حجمها. ما الذي نفعله نحن هنا حين نقضي سنوات في العمل والتفكير، وننفق آلاف الجنيهات نقداً خالصاً على سلاح ناري جديد أو سفينة حربية جوية و يتبين أن فيها خللاً بعرض الشعرة بعد هذا كله؟ نتخلص منها، نتخلص منها دون أن نضيع ساعة

إضافية أو جنيهاً إضافياً عليها. حسناً، لقد اخترعت لنفسك شيئاً ما تسمينه الأخلاقيات أو الدين أو غير ذلك ولم يتناسب مع الحقائق. حسناً، تخلصي منه. تخلصي منه وتناولي شيئاً مناسباً بشكل مؤكد. ذلك هو الخلل الذي يصيب العالم في الوقت الحاضر. إنه يتخلص من محركاته البخارية ومولداته الكهربائية اللاغية، لكنه غير مستعد لأن يتخلص من مظالمه القديمة وأخلاقياته القديمة ودياناته القديمة ومؤسساته السياسية القديمة، وما النتيجة؟ في مجال الآليات تسير الأمور بشكل جيد جداً، لكن في مجال الأخلاق والدين والسياسة فالأمور تسير على ضلال يجعل العالم يقترب من حد الإفلاس كل عام. لا تصرّي على حماقتك تلك. إذا كان دينك قد انهار البارحة فلتأت بدين أفضل وأكثر جدة كي تعتنقيه في الغد.

- بربارة: أوه، بكم من السرور أنا مستعدة لأن أقدم ديناً أفضل لروحي! لكنك تمنحني ديناً أسوأ. (تستدير نحوه بحماس مفاجئ) برّر لنفسك. أرني بعض النور وسط عتمة هذا المكان المرعب بورشاته النظيفة بشكل فاتن، وعماله المحترمين، ومنازله النموذجية.

- أندرشافت: النظافة والاحترام لا يحتاجان إلى تبرير يا بربارة فهما يبرران لنفسيهما... أنا لا أرى ظلمة هنا ولا رعباً. في ملجأ خلاصك شاهدت فقراً وتعاسة وبرداً وجوعاً. لقد كنت تقدمين لهم الخبز ودبس السكر وأحلاماً بالجنة، أما أنا فأقدم مبالغ تبدأ من ثلاثين شلناً في الأسبوع حتى اثني عشر ألف جنيه في السنة، وهم يوجدون أحلامهم الخاصة بينما أتدبر أنا أمر الإنفاق.

- بربارة: وماذا عن أرواحهم؟

- أندرشافت: أنا أخلص أرواحهم تماماً كما خلصت روحك.

- بربارة: (ثائرة) أنت خلصت روحي! ما الذي تعنيه؟

- أندرشافت: لقد أطعمتك، وكسوتك، وقدمت لك المسكن. لقد كنت حريصاً على أن تحصلي على المال الكافي كي تحيي حياة كريمة ـ وأكثر من الكفاية حتى استطعت أن تصبحي مبذرة ولا مبالية وكريمة. هذا أنقذ روحك من الخطايا السبع المميتة.

- بربارة: (بحيرة) الخطايا السبع المميتة!

- أندرشافت: أجل، السبع المميتة (يعد على أصابعه) الإطعام والإكساء والتدفئة ودفع الإيجار والضرائب والاحترام ورعاية الأطفال. لا يمكن لشيء أن يرفع تلك الأعباء

الثقيلة السبعة عن رقبة الإنسان إلا المال، ولا يمكن للروح أن تسمو حتى ترتفع الأعباء الثقيلة، وأنا رفعتها عن روحك، ومكنت بربارة من أن تصبح الرائد بربارة، وأنقذها من جريمة الفقر.

- كزنز: هل تسمي الفقر جريمة؟

- أندرشافت: هي أسوأ الجرائم. وكل الجرائم الأخرى هي فضائل أمامها، وكل المذلات الأخرى هي الشهامة بعينها مقارنة معها. الفقر يصيب مدناً بأكملها بالآفات، وينشر أوبئة مرعبة ويردي أرواح كل من يظهر على مرآه أو سمعه أو شمه قتيلاً. إن ما تسمونه أنتم جريمة لا يعد شيئا، قتل نفس هنا، وسرقة هناك لكمة في هذا الحين، وشتيمة في ذاك. ما ذا تهم هذه؟ إنها فقط حوادث وأمراض الحياة. ليس ثمة ولا خمسين مجرماً حقيقياً محترفاً في لندن، لكن هناك الملايين من الفقراء والذليلين والمتسخين ومن يعانون من سوء التغذية ورداءة اللباس. إنهم يَسُمُّوننا أخلاقياً وجسدياً. إنهم يقتلون سعادة المجتمع. إنهم يجبروننا على أن نتخلى عن حرياتنا الشخصية كي ننظم أعمالاً وحشية شاذة خوفاً من أن يثوروا ضدنا ويدفعوا بنا نحو الأسفل إلى هاويتهم.

الحمقى فقط يخافون الجريمة، لكننا جميعاً نخاف الفقر. يا للقرف! (يستدير نحو بربارة) وتتحدثين عن الشخص نصف المخلّص التابع لك في ويست هام، وتتهمينني بإرداء روحه للوراء نحو الهلاك. حسناً، أحضريه إلي ها هنا وأنا سأعيد روحه ثانية إلى درب الخلاص من أجلك، لا عن طريق الكلمات والأحلام، لكن بمنحه ثمانية وثلاثين شلناً في الأسبوع، ومنزلاً لا عيب فيه في شارع ملائم، وعملاً دائماً. خلال ثلاثة أسابيع سيحصل على صدرية فاخرة، وخلال ثلاثة شهور يحصل على قبعة طويلة وعلى مقعد في الكنيسة، وقبل نهاية العام يصافح دوقة في أحد اجتماعات رابطة (بريمروز) وينضم إلى حزب المحافظين.

- بربارة: وهل سيصبح أحسن حالاً نتيجة لذلك؟

- أندرشافت: تعلمين أنه سيصبح أحسن حالاً. لا تكوني منافقة يا بربارة. سيحصل على غذاء أفضل، ومسكن أفضل، وكساء أفضل، وسيحسن التصرف أكثر، وسيغدو أطفاله أسمن بأرطال وأكبر. هذا سيكون أفضل من النوم على فرشة أمريكية محشوة بالقماش في ملجأ، وتقطيع الحطب، وتناول الخبز ودبس السكر، وأن

يُكره المرء على الركوع من حين إلى آخر لحمد السماء على ذلك. تدعون هذا مثقب الركب على ما أعتقد. إنه لعمل رخيص أن يتم هدي الناس الذين يتضورون جوعاً بوضع الإنجيل في أحدى يديهم وشرحة من الخبز في الأخرى. سآخذ على عاتقي هدي (ويست هام) إلى الديانة (المحمدية) بنفس الأسلوب. اختبري نجاحك على رجالي فأرواحهم جائعة لأن أجسادهم ممتلئة.

- بربارة: وأترك منطقة (إيست إند) تتضور جوعاً؟

- أندرشافت: (تنخفض نبرة صوته المفعمة بالحيوية إلى نبرة مفعمة بالمرارة والتذكر المصحوب بالتفكير العميق) أنا كنت من سكان (إيست إند)، وبقيت أعبر عن أخلاقياتي وأتضور جوعاً حتى أقسمت في أحد الأيام على أن أصبح رجلاً شبعاً وحراً بأي ثمن ـ وعلى ألا يوقفني شيء إلا الرصاصة، لا العقل، ولا الأخلاق، ولا حياة الأشخاص الآخرين. لقد قلت: "سوف تموتون جوعاً قبل أن أموت أنا من الجوع" وبهذه الكلمة غدوت حراً وعظيماً. لقد كنت إنساناً خطراً إلى أن أصبحت لدي إرادة، والآن أنا شخص مفيد ومحسن ولطيف. ذلك هو تاريخ معظم أصحاب الملاين العصاميين كما أتخيل، وحين يغدو هذا

تاريخ كل رجل إنكليزي سنحصل على إنكلترا تستحق أن يحيا المرء فيها.

- السيدة بريتومارت: توقف عن إلقاء الخطابات يا آندرو فهذا ليس المكان المناسب لها.

- أندرشافت: (وقد تم قطع اندماجه) ليست لدي وسيلة أخرى لإيصال أفكاري يا عزيزتي.

- السيدة بريتومارت: أفكارك هي هراء! لقد نجحت لأنك كنت أنانياً وعديم الضمير.

- أندرشافت: ليس الأمر كذلك على الإطلاق. لقد كانت لدي أقوى المبادئ حول الفقر والموت جوعاً، من ينادون بالأخلاق منكم هم عديمو الضمير كلياً فيما يتعلق بالأمرين، فهم يجعلون منهما فضائلَ. كنت أفضّل أن أكون لصاً على أن أكون عالة. كنت أفضل أن أكون عالة على أن أكون عبداً. أنا لا أود أن أكون أي الأمرين، لكن إذا فرضت علي البديل فحينها، وبحق السماء، سأختار الأكثر شجاعة وأخلاقية. إني أكره الفقر والعبودية أكثر من أية جرائم أخرى أياً كانت، ودعيني أقول لك ما يلي: لقد تصدت خطاباتكم الدينية ومقالاتكم الافتتاحية للفقر والعبودية قروناً، لكنها لم

تـتمكـن مـن التـصدي لأسـلحتي الناريـة الآليـة. لا تلقـوا الخطب حولهما ولا تتباحثوا معهما بل اقتلوهما.

- بربارة: القتل. هل ذلك هو علاجك لكل شيء؟

- أندرشافت: إنه الاختبار النهائي للإيمان، والقوة الرافعة الوحيدة القويـة بمـا يكفـي لإسـقاط نظـام اجتمـاعي، والطريقـة الوحيدة لقول كلمـة "يجـب". لـو تركـت ستمائة وسـبعين أحمقَ طلقاء في الشارع، يمكـن لثلاثة من رجـال الـشرطة تفريقهم، لكـن، إذا قمت بحـشدهم معاً في منـزل مـا في (ويسمنستر) وتـركتهم يقومـون بمراسـم معينـة، ويـسمون أنفـسهم بأسمـاء محـددة حتـى تغـدو لـديهم الـشجاعة في نهايـة المطـاف للإقـدام علـى القتـل، فـسيغدو حمقـاك الـستمائة والـسبعون حكومـة. إن رعـاعكم التقـيّ يمـلأ أوراق الاقتراع، ويتخيل بأنه يحكـم أسياده، لكـن ورقـة الاقـتراع الـتي تحكـم فعليـاً هـي الورقـة الـتي تحـوي علـى رصاصة ملفوفة بداخلها.

- كزنز: لهذا السبب ربما، وككل الناس العقلاء، أنا لا أصوت.

- أندرشافت: تصوت! يا للقرف! حين تصوت فأنت فقط تغير أسماء أعـضاء مجلـس الـوزراء، لكنـك حـين تطلـق النـار فأنـت تـسقط حكومـات، وتفـتح عهـوداً جديـدة، وتنهـي أنظمـة

قديمة، وتكوّن أنظمة جديدة. هل هذا صحيح تاريخياً يا سيد "مثقف" أم أنه ليس كذلك؟

- كزنز: هذا صحيح تاريخياً، وأنا أكره بشدة كوني مضطراً إلى الاعتراف بذلك. إني أتبرأ من آرائك وأمقت طبيعتك وأعارضك بكل شكل ممكن، ومع ذلك فهذا صحيح. إلا أنه لا يستحسن أن يكون صحيحاً.

- أندرشافت: يستحسن، يستحسن، يستحسن، يستحسن يستحسن! هل تنوي أن تمضي حياتك وأنت تقول يستحسن مثل بقية واعظينا الأخلاقيين؟ بدّل كلمة "يستحسن" بكلمة "سوف" يا رجل. تعال واصنع المتفجرات معي فما يمكنه تفجير البشر يمكن له أن يفجر المجتمع. إن تاريخ العالم هو تاريخ هؤلاء الذين كانت لديهم الشجاعة الكافية لاعتناق هذه الحقيقة. هل لديك الشجاعة لاعتناقها يا بربارة؟

- السيدة بريتومارت: أنا أمنعك بتاتاً من الاستماع إلى خبث أبيك البغيض يا بربارة، وأنت يا أدولفوس يستحسن أن تكون أكثر وعياً من أن تبدأ بالقول عن أشياء خاطئة بأنها صحيحة. ما الذي يهم فيما لو كانت صحيحة إذا كانت خاطئة؟

- أندرشافت: ما الذي يهم فيما لو كانت خاطئة إذا كانت صحيحة؟

- السيدة بريتومارت: (وهي تنهض) إلى البيت حالاً يا أولاد. أنا نادمة إلى أقصى حد يا آندرو لأني سمحت لك بزيارتنا، فأنت أشد خبثاً من أي وقت مضى. تعالوا في الحال.

- بربارة: (وهي تهز رأسها) الهرب من الأشرار لا يجدي نفعاً يا أمي.

- السيدة بريتومارت: بل إنه يجدي كل النفع فهو يظهر رفضك لهم.

- بربارة: لكنه لا يخلّصهم.

- السيدة بريتومارت: يبدو لي أنك تنوين عصياني. هل أنت قادمة إلى البيت أم لا يا سارة؟

- سارة: باعتقادي أنه خبث كبير من أبي أن يصنع الأسلحة، لكني لا أظن أني سأقاطعه لذلك السبب.

- لوماكس: (صاباً الزيت على المياه المضطربة) الحقيقة هي أنه، وكما تعلمون، هنالك قدر معين من الكلام الفارغ يدور حول فكرة الشر هذه، إلا أنه لا يجدي نفعاً. عليكم أن تأخذوا الحقائق بعين الاعتبار. أنا لا أقصد أني سأتفوه بكلمة واحدة مؤيدة لأي شيء خاطئ، ولكن في النهاية، وكما ترون، كل نماذج الشباب تقوم دائماً بكل أنواع الأعمال، وعلينا أن نتكيف معهم بطريقة ما كما تعلمون. ما أعنيه هو أنه ليس بإمكانكم المضي متجاهلين الجميع، وهذا ما تنتهي إليه الأمور، (يجعله

إصغاؤهم المنتشي إلى فصاحته منفعلاً) قد لا أكون واضحاً فيما أقوله.

- السيدة بريتومارت: أنت الوضوح بعينه يا تشارلز: لأن آندرو ناجح ولديه القدر الوافر من المال كي يمنحه لسارة فسوف تتملق إليه وتشجعه على شره.

- لوماكس: (بثبات) حسناً، حيث ترقد الجثة تجتمع الصقور. تعلمين هذا (مخاطباً أندرشافت) أليس كذلك، ما قولك؟

- أندرشافت: بالضبط. بالمناسبة، هل لي أن أدعوك تشارلز؟

- لوماكس: هذا من دواعي سروري. تشولي هو اسمي المعتاد.

- أندرشافت: (مخاطباً السيدة بريتومارت) بيدي ـ

- السيدة بريتومارت: (بعنف) لا تتجرأ وتناديني بيدي. تشارلز لوماكس: إنك أحمق. أدولفوس كزنز: إنك ماكر. ستيفن: إنك شخص متزمت. بربارة: إنك مجنونة. آندرو: إنك تاجر سوقي. والآن، إنكم جميعاً تعرفون رأيي، وذمتي صافية بكل الأحوال (تعاود الجلوس بعنف يوشك على تحطيم الكرسي).

- أندرشافت: إنك رمز للأخلاقية يا عزيزتي، (تطلق صوتاً كالشخير) ذمتك صافية وواجبك تمت تأديته حين

شتمت الجميع. هيا يا يوربيدوس فالوقت يتأخر وعلينا جميعاً الذهاب للبيت. خذ القرار.

- كزنز: عليك أن تفهم ما يلي أيها العفريت العجوز ـ

- السيدة بريتومارت: ما هذا الذي تقوله يا أدولفوس؟

- أندرشافت: دعيه وشأنه يا بيدي. أكمل يا يوريبيدوس.

- كزنز: لقد أوقعتني في ورطة فظيعة. أنا أريد بربارة.

- أندرشافت: مثل كل الشبان، أنت تبالغ بشكل كبير في التمييز بين شابة وأخرى.

- بربارة: هذا صحيح تماماً يا دولي.

- كزنز: أود أيضاً بأن أتفادى أن أكون نذلاً.

- أندرشافت: (باحتقار لاذع) أنت تتحرق لتحقيق الصلاح الذاتي، والرضى عن النفس، وما تدعونه بالذمة الحسنة، وما تدعوه بربارة بالخلاص، وما أدعوه أنا بمناصرة الأشخاص الذين هم ليسوا محظوظين لدرجتك.

- كزنز: أنا لست كذلك فالشاعر في داخلي بكل ما فيه ينفر من فكرة أن يكون رجلاً صالحاً، لكن هنالك أشياء بداخلي يتوجب علي أن أحتسب لها حساباً كالشفقة ـ

- أندرشافت: الشفقة! إنها عاملة تنظيفات لدى التعاسة.

- كزنز: حسناً، والحب.

- أندرشافت: أعلم، أنت تحب المحتاجين والمنبوذين. أنت تحب السلالات المقموعة كالزنوج، والمزارعين من الهنود الحمر والبولنديين، والإيرلنديين. هل تحب اليابانيين؟ هل تحب الألمان؟ هل تحب الإنكليز؟

- كزنز: لا، إن كل إنكليزي حقيقي يمقت الإنكليز، فنحن أشد الأمم شراً على وجه الأرض، ونجاحنا هو أمر مرعب أخلاقياً.

- أندرشافت: ذاك ما يأتينا من إنجيلك المختص بالمحبة، أليس كذلك؟

- كزنز: هل يمكن لي ألا أحب حتى والد زوجتي؟

- أندرشافت: من يحتاج إلى حبك يا رجل؟ وبأي حق تعطي نفسك حرية منحي إياه؟ سأحصل على القدر المطلوب من اهتمامك واحترامك، وإلا فسأقتلك، لكن من حبك، اللعنة على وقاحتك!

- كزنز: (مبتسماً ابتسامة عريضة) قد لا يكون باستطاعتي أن أضبط مشاعري يا ماك.

- أندرشافت: أنت تهرب من الإجابة يا يوريبيدوس. إنك تضعف، وقبضتك تنسل. هيا! فلتجرب سلاحك الأخير، فالشفقة والحب قد تحطما في يدك وبقي لديك العفو.

- كزنز: لا ، فالعفو هو ملجأ الشحاذ ، وأنا معك في تلك النقطة: يتوجب علينا أن ندفع ديوننا.

- أندرشافت: نعمَ ما تقول. هيا! ستكون ملائماً بالنسبة لي. تذكر كلمات بلاتو.

- كزنز: (محدقاً) تقول بلاتو! وتجرؤ على أن تقتبس كلام بلاتو وتوجهه إلي!

- أندرشافت: يقول بلاتو يا صديقي أنه لا يمكن أن يتم إنقاذ المجتمع حتى يعتاد الأساتذة الجامعيون الذين يدرِّسون اليونانية على صناعة البارود، أو يصبح صانعو البارود أساتذة جامعيين لليونانية.

- كزنز: أوه، أيها الشيطان الماكر! أيها الشيطان الماكر!

- أندرشافت: هيا ، اختر يا رجل. اختر.

- كزنز: لكن قد لا تتزوج بربارة بي إذا انتقيت الخيار الخاطئ.

- بربارة: قد لا أفعل.

- كزنز: (بارتباك مفرط) هل تسمع!

- بربارة: ألا تحب أي أحد يا أبي؟

- أندرشافت: إني أحب صديقي المفضل.

- السيدة بريتومارت: ومن يكون بالله عليك؟

- أندرشـافت: أشـجع عـدو لـي، وهـو الإنـسان الـذي يبقـيني متأهبـاً على الدوام.

- كزنز: أتعلم، إن الكائن الحي هو حقاً، وكما يمكن القول، شاعر بطريقته الخاصة. افرض أنه كان إنساناً عظيماً في نهاية الأمر.

- أندرشافت: افرض لو أنك تتوقف عن الكلام وتتخذ القرار

- يا صديقي الصغير.

- كزنك: لكنك توجهني بشكل يتناقض مع طبيعتي. أنا أكره الحرب.

- أندرشافت: إن الكراهية هي ثأر الجبناء نتيجةً لكونهم فزعين. هل تجرؤ أن تشن حرباً على حرب؟ تلك هي الوسائل: صديقي السيد لوماكس جالس عليها.

- لوماكس: (قافزاً للأعلى) أهو، يا للهول! أنت لا تعني بأن هذا الشيء ملقَّم، أليس كذلك؟ دعك من هذا الكلام يا أعز من لدي.

- سـارة: (وهـي جالـسة بهـدوء علـى القنبلـة) إذا كنـت سـأنفجر فكلما جرى ذلك بشكل أكمل كلما كان أفضل. لا تحدث ضجيجاً يا تشولي.

- لوماكس: (مخاطباً أندرشافت وهو محتجّ بشدة) إنها ابنتك أنت كما تعلم.

- أندرشافت: هذا ما أراه (مخاطباً كزنز) حسناً يا صديقي، هل لك أن تأتي إلى هنا غداً في الساعة السادسة صباحاً؟

- كزنز: (بثبات) لا يمكن أن يحدث هذا ولا بأي حال. أفضل أن أرى المنشأة بأسرها وقد تفجرت بفعل موادها الناسفة قبل أن أستيقظ في الخامسة. ستكون ساعات عملي ملائمة للصحة ومعقولة: من الحادية عشرة حتى الخامسة.

- أندرشافت: تعال حين يحلو لك، وقبل مضي أسبوع ستأتي في السادسة وتبقى حتى أخرجك بالقوة من أجل صحتك. (ينادي) يا بلتون! (تستدير السيدة بريتومارت و هي تنهض) دعينا نترك هذين الشابين وحدهما للحظة يا عزيزتي. (يقبل بلتون قادماً من العلية) سآخذك في جولة ضمن علية القطن المتفجر.

- بلتون: (ساداً الطريق) لا يمكنك أن تدخل أي شيء قابل للانفجار إلى هنا يا سيدي.

- السيدة بريتومارت: ماذا تعني، هل تلمح إلي؟

- بلتون: (دون تاثر) لا يا سيدتي، لكن السيد أندرشافت يحمل في جيبه أعواد ثقاب السيد الآخر.

- السيدة بريتومارت: (بفظاظة) أوه! أستميحك عذراً (تدخل العلية).

- أندرشافت: إنك محق تماماً يا بلتون، محق تماماً. تفضل (يعطي بلتون علبة الثقاب) تعال يا ستيفن. تعال يا تشارلز. أحضر سارة. (يعبر إلى داخل العلية، ويفتح بلتون العلية، ويسقط أعواد الثقاب عمداً في دلو النار).

- لوماكس: أوه يا للهول! (يسلمه بلتون العلبة الفارغة ببلادة) هذه تفاهة جهنمية! وجهل تام بأمور العلم! (يدخل)

- سارة: هل أنا على أتم ما يرام يا بلتون؟

- بلتون: عليك ارتداء الخف الخاص يا آنسة. هذا كل شيء. إنه موجود لدينا في الداخل. (تدخل).

- ستيفن: (مخاطباً كزنز بجدية بالغة) فكّر يا صديقي القديم دولي. فكر قبل أن تقرر. هل تشعر بأنك رجل عملي بما فيه الكفاية؟ إنه التزام ضخم ومسؤولية جسيمة. سيكون كل هذا القدر من العمل غير مفهوم بالنسبة لك.

- كزنز: أوه، أظن أنه سيكون أسهل بكثير من اليونانية.

- ستيفن: حسناً، أود فقط أن أقول ما يلي قبل أن أترككما وحدكما: لا تدعا أي شيء قلته عن الخطأ والصواب يجعلكما تتحيزان ضد هذه الفرصة العظيمة في الحياة. لقد أقتنعت نفسي بأن العمل هو أحد أسمى مظاهر

الامتياز والسمعة بالنسبة لبلادنا. (بانفعال عاطفي) أنا فخور جداً بوالدي. أنا ـ (دون أن يتمكن من المتابعة يشد على يد كزنز ويدخل بسرعة إلى العلية. يتبعه بلتون).

(ينظر بربارة وكزنز، وقد بقيا لوحدهما، لبعضهما البعض بصمت).

- كزنز: سأقبل بهذا العرض يا بربارة.

- بربارة: تصورت بأنك ستفعل.

- كزنز: أنت تفهمين، أليس كذلك، بأنه كان علي أن أقرر دون أن أستشيرك. لو أني ألقيت عبء الاختيار عليك لكنت عاجلاً أم آجلاً ستحتقرينني بسبب ذلك.

- بربارة: أجل، لم أكن أريد منك أن تبيع روحك من أجلي أكثر مما كنت أرغب بأن تبيعها من أجل هذه التركة.

- كزنز: ليس بيع روحي هو ما يقلقني فقد بعتها مرات كثيرة جداً لدرجة أني لم أعد أهتم لهذا الأمر. لقد بعتها كي أصبح أستاذاً جامعياً، وبعتها من أجل الدخل، وبعتها كي أنجو من السجن، نتيجة لرفضي دفع الضرائب، إلى حبال الجلاد، وفي سبيل حروب غير عادلة، وأمور أخرى أمقتها. ماذا يمثل السلوك الإنساني غير بيعنا اليومي والساعيّ لأرواحنا في سبيل أمور تافهة؟ ما أبيعها في

سبيله الآن هو ليس المال، ولا المركز الاجتماعي، ولا الراحة، بل الحقيقة والقوة.

- بربارة: أنت تعلم أنك لن تحصل على أية قوة، وأنه ليس لديه أية قوة.

- كزنز: أعلم. أنا لا أفعل هذا من أجل نفسي فقط. إني أريد أن أنتج القوة للعالم.

- بربارة: أنا أريد أن أنتج القوة للعالم أيضاً، لكنها يجب أن تكون قوة روحية.

- كزنز: باعتقادي أن القوة كلها روحية فهذه المدافع لن تتفجر من تلقاء نفسها. لقد حاولت أن أنتج القوة الروحية بتدريس اليونانية، لكن، لا يمكن للعالم أن يتأثر فعلياً بلغة ميتة وحضارة ميتة. يتوجب على الناس أن يمتلكوا القوة، والناس لا يمكن لهم أن يستخدموا اللغة اليونانية، أما القوة التي يتم إنتاجها هنا فيمكن استخدامها ببراعة من قبل كل البشر.

- بربارة: القوة لإحراق منازل النساء، وقتل أبنائهن، وتمزيق أزواجهن إلى أشلاء.

- كزنز: لا يمكنك استخدام القوة في سبيل الخير دون استخدام القوة في سبيل الشر أيضاً. حليب الأم حتى يغذي قتلة كما يغذي أبطالاً. إن هذه القوة التي تمزق أجساد البشر

إلى أشلاء فحسب لم يحدث أبداً وأن تمت إساءة استخدامها لحد يوازي فظاعة سوء استخدام القوة الفكرية، والقوة التخيلية، والشعرية، والقوة الدينية التي يمكن أن تستعبد أرواح البشر. إني، وكمدرس لليونانية، قد قمت بتسليح الإنسان المثقف ليواجه الإنسان العادي وأنا الآن أود أن أسلح الإنسان العادي كي يواجه الإنسان المثقف. أنا أحب الناس العاديين، وأريد أن أسلحهم كي يواجهوا المحامي، والطبيب، والكاهن، والأديب، وأستاذ الجامعة، والفنان ورجل السياسة، والذين يصبحون حينما يتسلمون السلطة الأشد خطراً وبلاءً واستبداداً من كل الحمقى والأنذال والدجالين. أريد قوة شعبية منيعةً بما يكفي لإجبار الأقلية المثقفة الحاكمة على أن تستخدم عبقريتها لخدمة الصالح العام، وإلا أن تندثر.

- بربارة: ألا توجد قوة أسمى من تلك (مشيرة إلى القنبلة).

- كزنز: بلى، لكن تلك القوة يمكنها تدمير القوى الأسمى منها تماماً كما يمكن للنمر أن يدمر إنساناً، لذا يتوجب على الإنسان أن يجيد استخدام تلك القوة بدايةً. لقد اعترفت بهذا في آخر مرة تحارب فيها الأتراك مع

اليونانيين، فقد رحل أفضل تلميذ لدي كي يقاتل من أجل (هيلاَّس)، ولم تكن هدية وداعي له نسخة من كتاب (الجمهورية) لبلاتو بل كانت مسدساً ومئة علبة رصاص من صنع أندرشافت. إن دم كل تركي أطلق النار عليه ـ إذا كان قد أطلق النار على أي منهم ـ هو مسؤوليتي كما هو مسؤولية أندرشافت. هذا العمل ألزمني بهذا المكان للأبد، وإن تحدي والدك قد هزمني. هل يمكن أن أتجرأ وأشن حرباً على حرب؟ إني أجرؤ على فعل هذا، ويتوجب عليَّ فعل هذا، وسأفعل هذا. والآن، هل انتهى كل شيء بيننا؟

- بربارة: (متأثرة بفزعه الواضح من جوابها) أيها الطفل السخيف دولي! كيف يمكن لهذا أن يحدث؟

- كزنز: (وقد امتلأ بهجةً) إذاً أنت ـ أنت ـ أنت ـ أوه! من أجل طبلي! (يومئ بنقارتي طبل وهميتين).

- بربارة: (وقد أغضبها طيشه) احذر يا دولي، احذر. أوه، لو أني فقط أستطيع أن أبتعد عنك، وعن أبي، وعن كل هذا! لو أني كنت أملك جناحي حمامة وأستطيع الطيران بعيداً إلى السماء!

- كزنز: وتتركينني أنا!

- بربارة: أجل أنت، وكل أبناء البشر العابثين الأشرار الآخرين، لكني لا أستطيع. لقد كنت سعيدة في جيش الخلاص الروحي للحظة. لقد هربت من العالم إلى جنة من الحماس والصلاة وتخليص الأرواح، لكن في اللحظة التي قلّت فيها أموالنا عاد كل شيء إلى بودغار. لقد كان هو من أنقذ شعبنا، هو وأمير الظلام، أبي. إن يدي أندرشافت وبودغار تمتد إلى كل مكان. حين نطعم مخلوقاً يتضور جوعاً من إخوتنا فإن هذا يتم من خلال خيرهم لأنه ليس هنالك خبز آخر، وحين نعتني بالمرضى يتم هذا في المشافي التي يتعهدونها، وإذا ارتددنا عن الكنائس التي يبنونها فعلينا أن نركع على حجارة الشوارع التي يعبّدونها. وطالما أن الأمر مستمر على هذه الحال، لن يكون هنالك مهرب منهم. إذا أدرنا ظهورنا لبودغار وأندرشافت فهذا يعني أن ندير ظهورنا للحياة.

- كزنز: ظننت أنك عازمة على أن تديري ظهرك للجانب الخبيث من الحياة.

- بربارة: ليس هنالك من جانب خبيث، فالحياة كلها واحدة، ولم أكن أرغب يوماً بأن أتهرب من نصيبي من أي شر يتوجب احتماله سواء كان ذنباً أو معاناة. أود لو كان بإمكاني

أن أشفيك من أفكار الطبقة المتوسطة يا دولي.

- كزنز: (لاهثاً) الطبقة المتوسطة! هذا تنكر! تنكر اجتماعي لي! ومن ابنة لقيط!

- بربارة: لذلك أنا لا أنتمي لأية طبقة يا دولي. أنا أنبثق مباشرة من قلب كافة الناس. لو كنت أنتمي للطبقة المتوسطة لكان علي أن أدير ظهري لعمل أبي، ولكان علينا كلانا أن نعيش في غرفة استقبال رفيعة المستوى، وأن تجلس وأنت تقرأ نشرات التعليقات في إحدى الزوايا، وأجلس أنا في الأخرى إلى البيانو وأعزف مقطوعة (شومان)، لكننا كلينا شخصان رفيعا المقام لحد كبير، وما كان لأي منا أية فائدة - إني أفضل أن أعمل بكنسِ علية القطن المتفجر، أو بأن أعمل نادلة لدى بودغار قبل أن يحصل هذا. هل تعلم ماذا كان سيحصل لو أنك رفضت عرض والدي؟

- كزنز: أتمنى لو أعلم ماذا.

- بربارة: كنت تخليت عنك وتزوجت الرجل الذي كان سيقبل به. في النهاية، إن والدتي العجوز العزيزة لديها من الوعي ما يفوق أياً منكم. لقد شعرت بشعورها حين رأيت هذا المكان ــ شعرت بأنه يجب علي أن أمتلكه ــ وبأنه

يستحيل ويستحيل ويستحيل أن أدعه يذهب، لكنها فكرت بالمنازل ومجالات المطبخ والبياضات والخزف حين كان يجب أن تفكر فعلياً بكل الأرواح التي يجب تخليصها، لا الأرواح الضعيفة في الأجساد التي تتضور جوعاً، والتي تبكي امتناناً مقابل كسرة من الخبز ودبس السكر، بل المخلوقات الشبعة المشاكسة المغرورة المتعالية التي تصر كل الإصرار على نيل أصغر حقوقها، وتحقيق اعتبارها، والتي تعتقد بأن على والدي أن يكون ممتناً لها بشكل كبير لكونها تحصد الكثير من الأموال لأجله ـ وبالفعل يتوجب عليه ذلك. ذاك هو المكان الذي يحتاج إلى الخلاص بحق. إن والدي لن يصرخ في وجهي مرة أخرى بأن من هديتهم قد تمت رشوتهم بالخبز. (تتبدل ملامحها) لقد توقفت عن الرشوة بالخبز وتوقفت عن رشوة السماء. فَليترَك العمل في سبيل الله يتم بدافع العمل نفسه، العمل الذي كان عليه أن يخلقنا كي نفعله لأنه لا يمكن القيام به إلا من خلال الرجال والنساء الذين هم على قيد الحياة، وحينما أموت، فليكن هو مديناً لي، لا أنا مدينة له. ودعني أسامحه لكون هذا يتلاءم مع امرأة من منزلتي.

- كزنز: إذاً، فسبيل الحياة يمتد عبر معمل الموت.

- بربارة: أجل. عبر إثارة الجحيم إلى حد السماء، ورفع الإنسان إلى مرتبة الله، عبر الكشف عن النور الأبدي الكامن في وادي الظل. (تضمه بكلتي يديها) أوه، هل اعتقدت أن شجاعتي لن تعود أبداً؟ هل صدقت أني غدوت جاحدة، وأني أنا التي توقفتُ في الشوارع، وضممت أناسي إلى قلبي، وتحدثت في أقدس وأعظم الأمور معهم. يمكن لي في أي حين أن أدير ظهري وأتحول إلى الثرثرة بحماقة مع الناس المتأنقين حول أمور عديمة القيمة في إحدى غرف الاستقبال؟ لا يمكن لهذا أن يحدث أبداً أبداً، أبداً. الرائد بربارة سوف تموت والرايات بيدها. أوه، كما أنه لا يزال لدي حبيبي الصغير الصبي دولي، وقد أوجد لي موقعي وعملي. يا إلهي العظيم! (تقبله).

- كزنز: يا أعز ما لدي، فكري بصحتي الواهنة. إني لا أستطيع احتمال القدر ذاته من السعادة الذي يمكنك احتماله.

- بربارة: أجل، ليس بالأمر السهل أن تقع في حبي، أليس كذلك؟ لكن ذلك مفيد بالنسبة لك. (تركض نحو العلية وتنادي كالأطفال) أمي! أمي! (يخرج بلتون من العلية يتبعه أندرشافت) أريد أمي.

- أندرشافت: إنها تنتزع خف العمل الخاص الذي ترتديه يا عزيزتي. (يمضي باتجاه كزنز) هل الأمور على ما يرام؟ ما رأيها؟

- كزنز: لقد توجهت مباشرة نحو السماوات.

- السيدة بريتومارت: (تخرج من العلية وتقف فوق الدرجات مانعة مرور سارة التي تتبعها بصحبة لوماكس. تقبض بربارة على تنورة أمها كالطفلة) متى ستتعلمين بأن تصبحي استقلالية وبأن تتصرفي وتفكري من تلقاء نفسك يا بربارة؟ أعلم جيداً ما الذي تعنيه صيحة "أمي أمي" هذه. إنك دائماً تركضين إلي!

- سارة: (وهي تلمس أضلاع السيدة بريتومارت برؤوس أصابعها، وتقلد صوت زمور الدراجة) بيب! بيب!

- السيدة بريتومارت: (باستياء شديد) كيف تجرئين على قول بيب! بيب! لي يا سارة؟ إنكما كلتاكما طفلتان مشاكستان كثيراً. ما الذي تريدينه يا بربارة؟

- بربارة: أريد منزلاً في الريف لأعيش فيه مع دولي (وهي تشد التنورة) تعالي وأخبريني أي منزل أختار.

- أندرشافت: (مخاطباً كزنز) موعدنا في الساعة السادسة من صباح غد يا صديقي الصغير.

النهاية